

B825
A32
1902
Oriental
Arab

مقدم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله

وبعد فقد كنت في سنة ١٣١٢ هجرية التمت من حضرة مولانا صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الترخيص بطبع رسالة الرد على الدهرين للمغفور له السيد جمال الدين الافغاني وقد اذنتي بذلك وكان الاذن قاصراً على تلك المرة ولما كانت جميع النسخ التي طبعت قد نفذت وكثر طلب الرسالة في هذه الايام وخصوصاً من ساكني الاقطار الخارجية طلبت من صاحب الفضيلة المشار اليه التصريح باعادة طبعتها وقد صرح بحفظه الله بذلك . بمقتضى كتاب محرر بتاريخ

٧ فبراير سنة ١٩٠٣

وقد يتعجب من نفاذ الطبعتين ومن طلب الناس اعادة طبعتها ثالثة مع ان الاقبال على مطالعة الكتب عقيم في الشرق وخصوصاً في مصر وسوقها في كساد وتجارها باثرة والهمة المصرية لرفض كتب العلم اعلى من الهمة في اقتنائها ودراستها لانصراف قلوب الناس عن تكميل النفس وتعليمها الى تنمية الابدان وتقويمهما لشهفهم بالماديات وتطوحيهم في اودية الشهوات ولكن لا يلبث ان يزول العجب اذا علم ان الدهرية آخذة في النمو في هذا العصر عصر المدنية وانها بتجددها يرى لقيف الفضلاء وجماعة العقلاء لزوم تجديد طبع هذا الكتاب الذي بدد غياهب المادة وقشع سحب الدهرية

وأنا العقل بهدأته الى النور الالهي وصفى القرائح من كدرات الريب
والزيغ عن الاعتقادات الصحيحة . ولاجل مقاومة مذهب الدهرين
وملاشاته من هذا العالم يجب أن تساق اليه كتائب الادلة والبراهين
التي انتظمت في ميدان طروس هذا الكتاب ونازلته فانتصرت وانبرت له
فظفرت وكيف لا يكون ذلك كذلك وهي براهين قامت على وجوب
الاعمال بالدين والتمسك بجبل اليقين ونطقت بالدليل الحسي على أن الامة
لا ترتفع بغير الدين ولا تنخفض الا بتركه . وقس على حال الأمة شأن
الافراد واتخذ ما هو كائن بيننا الآن من سوء الحال دليلا يدلك على مقدار
ما بلغ اليه الفرد في معاملة الآخر معاملة لا تنطبق على دين ولا على
عقل صحيح . وقد أخطأوا محجة الصواب في قولهم هذا ما ترشدنا اليه
عقولنا ويقودنا اليه شعورنا ووجد اننا ولو علموا أن تدير الكائنات في
هذا العالم أمر أعجز عقول البشر وتعبت في سن نظاماته الرسل والأنبياء
عليهم السلام وهم يبلغون الوحي ولا ينطقون عن الهوى وهم صفوة الله من
خلقه اختارهم لهداية البشر واصطفاهم لذلك على العالمين لا قروا بالمعجزات
وبعجزهم عن مجازاة العقول السليمة المستمدة من المظهر الالهي
زعموا أنهم يجادلون بالعقل ويحاجون بالادراك وهم موالوا الشياطين
(وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم)

فالعقل الصحيح وهو جوهر مجرد انما استمد تلك الجوهرية من
النور القدسي الذي غذاه بأحكامه ورباه على حدوده وأوقفه على نواميس
الخليقة وأطلعه على أسرار الكائنات التي كونها الله سبحانه وتعالى وجعل

العقل يهتدي الى معرفة خفاياها ودقائق خلقها وجلائل حكمها
 واذا كان السلطان انما يصدر في ملكه بمقتضى القانون الذي سنه لنظام
 الملك ويسوس رعيته بالامر الذي يجمعهم على طاعته وقيمهم على ولاءه
 ويلفهم تحت لوائه وطاعته في ذلك واجبة والا انتقض النظام وانفصم الوثام
 وهو في ذلك يستمد العون من مولاه ويطلب الحول والقوة من الله . فكيف
 بحال الفرد إذا هو لم يصدر في شؤنه بالقانون السماوي الذي أمر بأن يتعهد
 نفسه به وأن يجري على أحكامه حتى لا يختل نظام الفرد في نفسه ولا يعتل
 عقله فلا يدري الاثم أم ملام . ونختم المقال بكلمة للجاحظ في هذا المعنى حيث قال
 فالذي لم يأخذ فينا بحكم القرآن ولا بأدب الرسول عليه السلام ولم
 يفرع الى مافي الفطن الصحيحة والى ما توجبه المقاييس المطردة والأمثال
 المضروبة والأشعار السائرة أولى بالاساءة وأحق باللائمة قال الله عز وجل
 (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال النبي عليه الصلاة والسلام لا تجن
 يمينك على شمالك وهذا حكم الله وآداب رسوله والذي أنزل به الكتاب
 وذلّ عليه في حجج العقول اه

فاللهم كما أمرتنا أن نطيعك وفقنا الى طرق الهداية واعصمنا من الزلل
 انك على كل شيء قدير

(عبد العليم صالح)





﴿ سيرة صاحب هذه الرسالة الشيخ جمال الدين الافغاني ﴾
 يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رأينا من تخالف
 الناس في أمره وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صورته في مخيلات
 اللافتين لخبره حتى كأنه حقيقة كالية تجلت في كل ذهن بما يلائمه او قوة
 روحية قامت لكل نظر بشكل يشا كله والرجل في صفاء جوهره ووزكاء مخبره
 لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملًا من خبره نرويه
 عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفت من بيت عظيم في بلاد
 الافغان ينمي نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا
 الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة
 وافرة العدد تقيم في خطة ﴿ كِنَر ﴾ من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة
 ايام ولهذه العشيرة منزلة عليية في قلوب الافغانين يجلونها رعاية لحرمة نسبها
 الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تسنقل بالحكم
 فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جدا امير الحالي وأمر

بنقل ابي السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل
 ولد السيد جمال الدين في قرية (اسعد آباد) من قرى كَنْزِ سنة ١٢٥٤ هجرية
 وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره اجلس
 للتعليم وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرتة واشراق في قريحته
 وذكاء في مدرسته فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها . تلقى علوماً
 جمّة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة
 وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه
 وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية
 وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية وآلهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة
 وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح . أخذ جميع تلك الفنون
 عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب
 الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم
 عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر في بعض
 العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة وأتى بعد ذلك الى الاقطار
 الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل
 من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣
 فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها في سياحته واكتنه اخلاقهم
 وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل
 في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير
 الى هرات ليفتحها ويملكها على سلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد

جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى ان توفي الامير وفتحت
المدينة بعد معاناة المحصر زمناً طويلاً . وتقلد الامارة ولي عهداها شير علي خان
سنة ١٢٨٠ وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً
من هو اكبر سنّاً منه ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة والابوهم
للفساد طلباً للاستبداد بالامارة وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة
محمد اعظم ومحمد اسلم ومحمد امين وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم فلما
احسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير اسرعوا الى الفرار وتفرقوا الى الولايات
كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها
وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية وبعد مجاللات عنيفة عظم
امر محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن (الامير السابق) وتغلبا على عاصمة
المملكة وانقذا محمد افضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه اميراً على
افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد اعظم خان
وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت
ثقتة به فكان يلجأ لرايه في العظام وما دونها (على خلاف ما تعودده امراء
تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت
تخلص حكومة الافغان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن
الامير بالاغلب من ذوى قرابته حمله على تفويض مهمات من الاعمال الى
ابنائهم الاحداث وهم خلو من التجربة عراة في الحنكة فساق الطيش احدثهم
وكان حاكماً في قندهار على منازل عمه شير علي في هراة ولم يكن له من الملك
سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما

تلاقي مع جيش عمه دفعته الجرأة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي
واخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا
ما التفت يعقوب خان قائدشير على فوجد ذلك الغر المتهور منقطعاً عن جيشه
فكرّ عليه وأخذه اسيراً فتشتت جند قندهار وقوى الامل عندشير علي فحمل
على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكيزشير علي
وبذلوا لها قناطير من الذهب ففرّتها في الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فيبيعت
أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلبشير علي
وانهزم محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخاري
(وعاد الى بلاده رحمه الله) وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد
اشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسه الامير
بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي
الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدربه والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس
حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له ان يفارق بلاد الافغان
فاستأذن للحج فاذن له على شرط أن لا يمرّ ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد
اعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد اعظم
بثلاثة أشهر فلما وصل الى النخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال
الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولم تأذن للعلماء في الاجتماع عليه
الا على عين من رجالها فلم يقيم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في
احد مرابها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين
يوماً تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين

ومالوا اليه كل الميل وسألوه أن يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحوّل عن الحجاز عزمه وتعلّج بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة وبعد أيام من وصوله امكنته ملاقاته الصدر الاعظم عالي باشا ونزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله واقبل عليه بمالم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجرا، وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وادبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم وبعد ستة أشهر سمي عضواً في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آرائه وأشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافق على الذهاب اليها رفقاً به. ومن تلك الطرق ما حفظ عليه قاب شيخ الاسلام لتلك الاوقات حسن فهمي افندي لانها كانت تمس شيئاً من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقى فيها خطاباً للبحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فالح عليه تحسين افندي فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على وزير المعارف وكان صفوت باشا. وعلى شرواني زاده وكان مشير الضابطية وعلى دولتو منيف باشا ناظر المعارف وكان عضواً في مجلس المعارف واستحسنه كل منهم واطنب في مدحته

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان أعدّه وارسل حسن فهمي افندي اشعة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب

منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طالب حقاً ولكن كان الخطاب في تشبيه
 المعيشة الانسانية ببدن حي وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي
 من المنفعة في المعيشة ما يؤديه العضو في البدن فشبّه الملك مثلاً بالمنخ الذي هو
 مركز التدبير والارادة . والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين
 ومضي في سائر الصناعات والاعضاء حتى اتي على جميعها ببيان ضاف واف
 ثم قال هذا ما يتألف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الابروح
 وروح هذا الجسم اما النبوة واما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة
 إلهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث
 يجعل رسالاته . اما الحكمة فما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات . وبأن النبي
 معصوم من الخطأ والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه . وان احكام النبوات
 آتية على ما في علم الله لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فلا خذ بها
 من فروض الايمان اما آراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب
 ما هو الاولى والافضل على شريطة ان لا يخالف الشرع الالهي . هذا ما ذكره
 متعلقاً بالنبوة وهو منطبق على ما جمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا ان
 حسن فهمي افندي اقام من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام فاشاع
 ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثيت الإشاعة بأنه ذكر
 النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم
 أوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكرو ذلك محفوفاً بالتنديد والتنديد فاهتم
 السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به ورأى ان
 ذلك لا يكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتد في طلب

المحاكمة وأخذت منه الحدة مبلغها وأكثرت الجرائد من القول في المسألة فمنها
 نصر الله الشيخ جمال الدين ومنها أعوان لشيخ الاسلام فاشار بعض أصحاب السيد
 عليه ان يلزم السكون ويفضي على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحل
 الاشاعات وضعف أثرها فلم يقبل ولج في طلب المخاصمة فعمم الامر وآل الى
 صدور أمر الصدارة اليه بالجللاء عن الاستانة بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر
 ويهدأ الاضطراب ثم يعود إن شاء فقارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً
 لحدته وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في أول محرم
 سنة ١٢٨٨ هـ هذا مجمل أمره في الاستانة وما ذكره سليم المنجوري في شرح
 شهره المسمى سحر هاروت مما يخالف ذلك خلط من الباطل لاشائبة للحق فيه
 مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها
 ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الإقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض
 باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة وظيفة ألف قرش
 مصري كل شهر نزلاً أكرمه به لاني مقابلة عمل واهتدى اليه بعد الإقامة
 كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فاورى واستفاضوا بحره ففاض درا وحملوه
 على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة
 النظرية الطبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم النصف وعلم أصول الفقه
 الاسلامي وكانت مدرسته بيته من أول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب
 الى الازهر مدرسا ولا يوماً واحداً نعم كان يذهب اليه زائراً وأغلب ما كان
 يزوره يوم الجمعة عظم أمر الرجل في نفوس طلاب العلوم واستنجزوا فوائده
 الاخذ عنه واعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في

الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت
لذلك الباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء
الفصول الادبية والحكومية والدينية فاشتغلوا على نظره ووبرعوا وتقدم فن الكتابة
في مصر بسعيه وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة
في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله
باشا فكري وخيري باشا ومحمد باشا سيد احمد على ضعف فيه ومصطفى باشا وهبي
على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما ساجعون في المراسلات الخاصة واما
مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها

ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ
مضمارهم واغلبهم احدث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من أخذ
عنه او عن أحد تلامذته او قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر.
هذا ما حسده عليه اقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب
الفلسفية اخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها على ان القائلين
بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم
من الزيف اما الثابتون في إيمانهم فلهم النظر في علوم الاولين والآخرين من
موافقين لمذاهبهم او مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة في دينهم وقوة في
يقينهم ولنا في أئمة الملة الاسلامية ألف حجة تقوم على ما نقول ولكن تمكن
الحاسدون من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل وأذاعوا ذلك
بين العامة ثم أيدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطر قون مجلسه
فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون في النقل عنه ولا يشعرون غير ان

هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شأنه
 في ارتفاع والقلوب عليه في اجتماع الى أن تولى خديوية مصر حضرة خديويها
 المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا أن
 بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى
 الجناب الخديوي ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب
 الخديوي عليه فاصدر أمره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه أبو تراب
 فقارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ وأقام بحيدر آباد الدكن وفيها
 كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهر بين ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر
 دعى من حيدر آباد الى كلكتة وألزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى
 أمر مصر وفتأت الحرب الانكليزية ثم أبيع له الذهاب الى أي بلد فاختار
 الذهاب الى أوروبا وأول مدينة أصعد اليها مدينة لوندرة أقام بها أياما قلائل
 ثم انتقل عنها الى باريز وأقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات وافيناه في أثناءها
 ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشئ جريدة تدعوا المسلمين الى الوحدة
 تحت لواء الخلافة الاسلامية أيدها الله سألني ان أقوم على تحريرها فأجبت
 ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد أخذت من قلوب الشرقيين عموماً
 والمسلمين خصوصاً ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص
 النية في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون الاستمرار في
 اصدارها حيث قفلت أبواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في
 إعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقوماً بأوروبا أشهراً في باريز وأخرى
 في لندرة الى أوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

أما مذهب الرجل الحنفي حنفي وهو وان لم يكن في عقيدته مقلداً لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضى الله عنهم وله مشاركة شديدة على أداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاصريه في مصر أيام اقامته بها ولا يأتي من الأعمال الا ما يحل في مذهب امامه فهو اشد من رأيت في المحافظة على أصول مذهبه وفروعه أما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها أحد يكاد يلهب غيره على الدين وأهله

أما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه أفكاره وأخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما أصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتبنيها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدن الحنفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول بيانها

أما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها لهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني وتحديد ما ابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له . وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها . كل موضوع يلقي اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ثم له في باب الشعرية قدرة على الاختراع كأن ذهنه عالم الصنع والابداع وله لسن في الجدل وحنق في صناعة الحججة لا يلحقه فيهما

احد الا ان يكون في الناس من لا نعرفه وكفاك شاهداً على ذلك انه ما خاصم
احداً الا خصمه ولا جادله عالم الا الزمه وقد اعترف له الاوربيون بذلك بعد
ما اقر له الشريون وبالجملة فاني لو قلت ان ما اتاه الله من قوة الذهن وسعة
العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ . ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم

أما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ما شاء الله
ان يسع الى ان يدنوا منه احد ليمس شرفه او دينه فينقلب الحلم الى غضب
تنقض منه الشهب فيما هو حلیم أو اب اذا هو أسد وثاب . وهو كريم يبذل
ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر عظيم الامانة
سهل لمن لا يینه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه
اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيراً ما كان التعجل علة
الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بمظالم
الامور عزوف عن صفاتها شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه الا انه
حديد المزاج وكثيراً ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة الا انه صار اليوم في
رسوخ الاطواد وثبات الاقناد نخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
لا يعد لنفسه مزية ارفع ولا عزاً امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر
وبالجملة ففضله كعلمه والكمال لله وحده

أما خلقه فهو يمثل لناظره عربياً محضاً من أهالي الحرمين فكانما قد
حفظت له صورة آباءه الاولين من سكة الحجاز حماه الله . ربة في طوله ووسط
في بنيته قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الرأس في اعتدال عريض

الجهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخمة الوجنات رحب الصدر جليل
 في النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه
 بقي علينا ان نذكر له وصفا لو سكتنا عنه سألنا عن اغفاله وهو انه
 كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المنتزهات العامة
 والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لکن مع غاية الحشمة وكمال
 الوقار وكان مجلسه في تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيداً من
 اللغو منزهاً عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وأرباب المقامات
 العالية وأهل العلم وهذا الوصف ربما عده عليه بعض حاسديه لکن الله يحب
 ان تؤتي رخصه كما يجب ان تؤتي عزائمه وأي غضاضة على المرء المؤمن في
 ان يفرج بعض همه بما أباح الله له . هذا مجمل من أحوال السيد جمال الدين
 الافغانى أتينا به دفعا لما افتراه عليه الجاهلون ولو سلكننا في تاريخه مسلك
 التفصيل لادى بنا الى التطويل وانا نتبع هذا بما كتبه سليم أفندي العنحوري
 تخطئة لنفسه فيما نقله في شرح سحر هاروت والمطلع على ما كتبناه يعلم خطأه
 في جلّ مارواه

هذا ما نشره سليم أفندي العنحوري في جريدة لسان الحال والجنة بحروفها
 لا يخفى اننا كنا أتينا في حاشية كتابنا (سحر هاروت) على شيء من
 ترجمة الحكيم الشرقي العزيز المادة السيد جمال الدين الافغانى الطائر الصيت
 وأبنا في عرض قصصنا لمحمة مما تلقيناه عن بعض المصريين والسوريين من
 سوء عقيدته ووهن دينه مما كان مدعاة اسفنا وباعث استغرابنا ثم اسعدنا
 البخت بان التقينا هاته الايام بصديقنا المحلى بحلية الفضل الحائر قصب السبق

في مضماري العقل والنقل الشيخ محمد عبده اعزّ اخلاء الحكيم
المشار اليه فحال بيننا حديث أفضى الى البحث بما يرويه عنه بعض الناس
ورويناه نحن عنهم فأوضح لنا بدلائل ناهضة وبراهين داحضة ان ما تناقله
الاسن من هذا القبيل ما كان الا من آثار مارماه به بعض من غمرتهم ايديه
فجازوه بالكنود يعني هم قوماً كفرة تزلقوا اليه فاغتر بيراقيش السنتم
ووظأ لهم جانب الانس سالكاً في سبيل اسعادهم كل سبيل فلما دارت عليه
الدوائر وتحولات الاحوال أخذوا يتحججون بالتلمذة عليه وبنسبون ما أشربوا
من الكفر اليه وبين لنا باجلى أسلوب ان المباحث التي كان يدور بها لسانه
اشاء مناظرته الجدلية في بيان عقائد المظلمين كان المراد منها اظهار حقائق
النحل والبدع بمنزل عن الاعتقاد بها والجنوح اليها بل مع تعقيها بالرد عليها
واقامة الحجج على بطلانها ثم تأييداً لمقاله هذا وقفنا على رسالة منسوجة بقلم
السيد المشار اليه سواً بها أصحاب المبادئ المعطلة من أي فريق كانوا وبين
قبح طريقتهم بعبارة حنيف عريق بالاسلام ثبت منها هنا مبحثه في ضرورة
اعتقاد الالهية لسعادة الانسان

قال بعد بيان وجوه زعموها كافيةً لصلاح النوع البشري ورد ما زعموا
﴿ فاذن لم يبق الشهوات قاصع ولا للاهواء رادع الا الايمان بان للعالم صانعاً
عالمًا بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع
الاعتقاد بانه قد قدر! بخير والشر جزاء! يوفاه مستحقه في حياة بمد هذه الحياة
السرمدية ﴾ ثم قال ﴿ فلم تبق ريبة في ان الدين هو السبب الفرد لسعادة
الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من

أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب يكون سبباً في السعادة التامة
والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال الصوري والمعنوي
ويصعد بذويه الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدينة
لطلابها بل يفيض على المتمدين من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم
بسعادة الدارين * ثم أتى بعد هذا في مزايا الدين الاسلامي خصوصاً بما
يطول بيانه ويعلمه من اطلع على تلك الرسالة هذا كله بعد ما قال في وصف
الماديين (انهم . كيفما ظهوروا وفي أي صورة تمثلوا وبين أي قوم نجموا
كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم وصدعاً
متفاقماً في بنية جيلهم يمتنون القلوب الحية باقوالهم وينفثون السم في الارواح
بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فمارزئت بهم أمة ولا منى بشرهم
جبل الا انتكث قتله وتبددت آحاده وفقده قوام وجوده . ثم أطل في
بيان ذلك الى حد لم يبق معه محل للريبة في كمال اعتقاده وجللاء يقينه
فاخذتنا لذلك خفة الطرب وسارعنا لاذاعته بلسان الصحف شان
المؤرخ العادل وقياماً بحق الادب وضمناً بفضل هذا الرجل الخطير من ان
تناوله السنة من لا يعرفه خطأ وافتراءً والله يتولى الصادقين



الرسالة في التفسير للشيخ محمد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

نقلها من الفارسية الى العربية صاحب الفضيلة

الاستاذ الشيخ محمد عبد مفتي الديار المصرية

بمساعدة عارف افندي ابي تراب

الافغاني

﴿ ملزم الطبع ﴾

بِعَبْدِكَ يَصْلِحُ الْخَلْقُ بِمَنْزِلَتِهِ

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

﴿ الطبعة الثالثة ﴾

[طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣٢٠]

« لصاحبها سماحفظ الخبير بالمحاكم الاهلية »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله على الهداية . ونعوذ به من الغواية . ونصلي ونسلم على خاتم
رسله . وآله وصحبه هداة سبيله . وبعد فقد أتيت لي الاطلاع على رسالة
فارسية في نقض مذهب الطبيعيين من تصنيف العالم الكامل . محيط
المعرفة الشامل . الشيخ جمال الدين الحسيني الافغاني . أما الشيخ فله من
لسان الصدق ورفيع الذكر ما لا يحتاج معه الى الوصف وأما الرسالة فعلى
ايجازها قد جمعت لا رغام الضالين وتأييد عقائد المؤمنين ما لم يجمعه مطول
في طوله وحوث من البراهين الدامغة والحجج البالغة ما لم يحوه مفصل على
تفصيله * دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه أيام كان في البلاد الهندية
عند ماراى حكومة الهند الانكليزية تمد في النى جماعة من سكان تلك
البلاد اغراء لهم بنبد الاديان وحل عقود الايمان وان كثيراً من العامة
فتنوا بأرائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر الاستفهام منه عن حقيقة
ماتدعيه تلك الجماعة الضالة وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل مولوي
محمد واصل مدرس الفنون الرياضية بمدرسة الاعزة بمدينة حيدرآباد
الذكن من بلاد الهند فاجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيه بانشاء رسالة في
بيان ماكثر السؤال عنه . وقد حداني علو الموضوع وسموه نزلة الرسالة منه

الى الاجتهاد في نقلها من لغتها الى اللغة العربية فتم لي ذلك بمساعدة
 عارف أفندي الافغاني تابع الشيخ المؤلف ورجونا بذلك تعميم الفائدة
 وتكميل العائدة ان شاء الله وإنا نذكر ترجمة الرقيمين مبتدئين برقيم مولوي
 محمد واصل وهو

١٩ محرم سنة ١٢٩٨ * بعد رسوم المخاطبة *

يقرع آذاننا في هذه الايام صوت ينشر ينشر وانه ليصل الينا من
 جميع الاقطار الهندية فمن الممالك الغربية والشمالية و * أوده * و * بنجاب *
 و * بنجاله * و * السند * و * حيدرآباد الدكن * ولا تخلو بلدة أو
 قسبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب * نيشري * ويظهر لنا ان من
 تعلق عليهم هذا اللقب ينموا عددهم على امتداد الزمان خصوصا بين
 المسلمين ولقد سألت أكثر من لاقيت من هذه الطائفة . ما حقيقة
 النيشرية . وفي أي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه
 الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا المقصد
 أولها مقاصد أخرى . وهل طريقهم تنافي أصول الدين المطلق أو هي لا
 تعارضه بوجه ما . وأي نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في
 عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية . فان كانت هذه الطريقة من النحل
 القديمة فلم تنشر بيننا ولم نعهد لها دعاء الا في هذه الاوقات . وان كانت
 جديدة فما الغاية من احداثها وأي أثر يكون عن الاخذ بها

ولكن لم يفدن أحد منهم عما سألت بجواب شاف كاف ولهذا

التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل

ينفع الغلة ويشفي العلة والسلام اه
وهذا رقيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني جوابا عن الرقيم
السابق محيي العزيز

النشر اسم للطبيعة وطريقة النشر هي تلك الطريقة الدهرية التي
ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد
ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع أساس الاباحة والاشترك في
الاموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا
وبالغوا في السعي اليه وتلونوا لذلك في الواج مختلفة وتقبلوا في مظاهر
متعددة وكيفما وجدوا في أمة افسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال
وأبما ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة تجلي له
ان لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية
الانسانية . اذ لا ريبة في ان الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي ولن
يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة . وأول تعليم لهذه الطائفة اعدام
الاديان وطرح كل عقد ديني

وأما عدم شيوع هذه الطريقة وقله سلاكها مع طول الزمن على
نشأتها فسببه ان نظام الالفه الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية
كانت له الغلبة على أصولها الواهية وشريعتهما الفاسدة وبهذا السر الالهي
إنبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم
لهم قائمة أمر ولا في وقت من الاوقات

ولتفصيل ما ذكرنا تقدم لانشاء رسالة صغيرة ارجو ان تكون مقبولة

عند العقل الغريزي لذلك الصديق الفاضل وان تنال من ذوى العقول
الصافية نظرة الاعتبار

وهذه هي الرسالة

حقيقة مذهب النيشرية والنيشريين وبيان حالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب
الدين قوام الأمم وبه فلاحها . وفيه سعادتها وعلية مدارها .
النيشرية جرثومة الفساد . وأرومة الأداد . وخراب البلاد . وبها
هلاك العباد .

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام واصبحت
هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في الجامع وللعامه والخاصة فيها مذاهب وهم
وطرائق وهم . فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة عن اصل وضعها
لهذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها وارفع
الستار عن حال النيشريين من بداية أمرهم وأعرض للناظرين شيئا
من مفاسدهم وما لحقوا بالنوع الانساني من المضار التي خبت اثرها وساء
ذكرها مستنداً في ذلك على التاريخ الصحيح آخذاً من البرهان العقلي بدليل

يُثبت أن هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها في أمة من الأمم إلا كان سبباً في اضمحلالها وانقراضها

أثبت ثقة المؤرخين أن حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح إلى فئتين . ذهبت أحدهما إلى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي إلى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرراً الذات عن التآليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الأول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية . واشتهرت هذه الطائفة . بالمتألهين ﴿ الخاضعين لله ﴾ ومنهم فيثاغورث وسوقراط وأفلاطون وأرسطو ومن أهل مذهبهم كثير . وذهبت أخرى الطائفتين إلى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه وعرفت هذه الطائفة . بالماديين . ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبة الأقدمون منهم إلى طبيعتها . واسم الطبيعة في اللغة الفرنسية ﴿ ناتور ﴾ وفي الإنكليزية ﴿ نيشر ﴾ ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين . وعند الفرنسيين باسم ﴿ نتوراليسم ﴾ أو ﴿ ماتيراليسم ﴾ الأول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب

وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة وعلى ذلك اتفقت بنائها واحكام نظامها لا منشأ له الا الصدفة . كما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد أحالته بداهة العتل

ورأس القائمين بهذا القول ديمقراطيس . ومن رأيه ان العالم اجم ارضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الاجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة وذهب فريق آخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من ازل الازل ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان في كل بذرة نباتا مندججا فيها وفي كل نبات بذرة كامنة ثم في هذه البذرة الكامنة نبات وفيه بذرة الى غير النهاية وعلى هذا زعموا ان في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانا تام تركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الى غير نهاية وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لاشي من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبذرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاء كله من جرثومة وبذرة أخرى

وفاتهم ملاحظة أن كثيراً من الحيوانات الناقصة الحلقة قد يتولد عنها حيوان تام الحلقة وكذلك الحيوان التام الحلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها ومال جماعة منهم إلى الإبهام في البيان فقالوا إن أنواع النباتات والحيوانات تقلبت في أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت إلى هيئتها وصورها المشهودة لنا وأول النازعين إلى هذا الرأي ﴿ ابيقور ﴾ أحد أتباع ﴿ ديوجينيس الكلبي ﴾ ومن مزاعمه إن الإنسان في بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور إلى طور حتى وصل بالتدريج إلى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يبق دليلاً ولم يستند على برهان فيما زعمه من أن مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقي الأنواع

ولما كشفت علوم الجيولوجيا ﴿ طبقات الأرض ﴾ عن بطلان القول بقدم الأنواع رجع المتأخرون من الماديين عنه إلى القول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين . الأول بحث تكوّن الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة إلى أن جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها تكونت عند ما أخذ التهاب الأرض في التناقص ثم انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الأرضي وذهبت أخرى إلى أن الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم أن الحياة فاعل في بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وإن قوتها الغازية هي التي تجعل

غير الحي من الاجزاء حياً بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط
وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس
وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من ان الارض عند الانفصال
كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تتمح صورها في
تلك النيران المستعرة

والبحت الثاني من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض
نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى ما نراه من
الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة . فمنهم قائل بان لكل نوع
جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في
الاطوار الحيوية وتجذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزءاً
لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه . وقد غفلوا عما اثبتته التحليل الكيماوي
من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلاً وظهور
تماثل النطف في العناصر البسيطة . فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل
عناصرها . ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة
في الجوهر متساوية في الحقيقة وليس بين الانواع تخالف جوهرية ولا انفصال
ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة
الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى بمقتضى الزمان والمكان
وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطات القواسر الخارجية
ورأس القائلين بهذا القول ﴿ دروين ﴾ وقد ألف كتاباً في بيان

ان الانسان كان قردًا ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج
على تتالي القرون المتطاولة وتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى
الى برزخ ﴿أوروان أوتان﴾ ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب
الانسان فكان صنف اليميم وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض افراده
الى أفق أعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي

وعلى زعم دروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون
وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثاً كذلك

فان سئل دروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات
المتولدة فيها من ازمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظناً وأصولها تضرب
في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد
فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيتها واشكال أوراقه
وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأى
فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء .
اظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

وان قيل له هذه اسماك بحيرة أورال وبحر كسين مع تشاركها في
المأكل والمشرب وتسايقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافاً نوعياً وتبايناً
بعيداً في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت
فلا أراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (بالتجريك العجز عن الكلام)
وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى
والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق

أو الحشرات المتباينة في الخلقة المتباعدة في التركيب المتولدة في بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجروا الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته في علة اختلافها . كأنها تكون كسفا لا كسفا بل اذا قيل له أي هاد هدى تلك الجرائم في نقصها وخذاجها واي مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو أداء وظيفته وايفاء عمل حيوي مما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجرائم وهادياً خبيراً لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية لا ريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين امواج الخيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى ابد الآبدن

وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الأوهام ومهامه الخرافات الاً قرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ما أخذ به من الشبه الواهية الهية يشغل بها نفسه عن آلام الخيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئاً مما تمسك به فمن ذلك ان الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعرا من الخيل المتولدة في البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتین مختلفین حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها أو هو علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن في أهل البلاد الباردة بما يعترى البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من ان جماعة كانوا يقطعون
 أذنان كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد
 بلا أذنان كأنه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن
 هبته . وهل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب
 وما يجرونه من الختان الوفاً من السنين لا يولد مولود حتى يختن والى
 الآن لم يولد واحد منهم مختوناً الا لا عجاز

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به اسلافهم
 نبذوا آراءهم وأخذوا طريقاً جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة
 العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال
 المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر أثره ولكن العلة في
 نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدر لأشكالها
 وأطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة أشياء * متبير * و * فورس *
 و * انتليجانس * أي مادة وقوة وادراك

وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الإدراك تجلت
 وتتجلى بهذه الاشكال والهيئات وعند ما تظهر بصور الاجساد الحية نباتية
 كانت أو حيوانية تراعي بما لا يسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ
 النوع فتنشئ لها من الاعضاء والآلات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية
 والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا
 أنفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعد ما دخلوا ألف حجر وخرجوا
 من ألف نفق وما هو باقرب الى العقل من سائر أوهامهم ولا هو بالمنطبق

على سائر أصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من
الاجزاء الديمقراطية . ولا ينطبق رأيهم الجديد في علة النظام الكوني
على رأيهم في تركيب الاجسام

وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة ان يكون لكل جزء
ديمقراطي شعور خاص كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن
سائر الاجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا
يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هذا فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من اجزاء المادة مع
انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة أفهم كل منها باقيا ما ينويه
من مطلبه وأي برلمان * مجلس الشورى * أو أي سنات * مجلس
الشيوخ * عقدت للتشاور في ابداع هذه المكونات العالية التركيب
البدئية التأليف وأنني لهذه الاجزاء ان تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة
ظهورها في هيئة طيراً كل الحبوب فمن الواجب ان يكون له منقار وحوصلة
لحاجته في حياته اليهما واذا كانت في بيض الشاهين والعقاب فمن اين لها
العلم بانها تقوم طيراً يأكل الاحوم فلا بد له من منسر ومخالب يصول بهما في
الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسرحه لياكله

ومن اين لها ان تعلم وهي في مشيمة السكابة انها ستكون على صورة انثى الجرو ثم
تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون جبلي لوقت من الاوقات وقد تلد اجراء
متعددة في زمن واحد فهي تهيأ لطبيها حلما كثيرة على حسب حاجة اجرائها
ومن لهذه الاجزاء المتبددة ان تدرك حاجة الحيوانات الى القلب

والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح . لو عقلت هذه الطائفة ما رمي اليه سؤالي هذا لارتكست في أفكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأساً ولا تحير جواباً الى ان يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولا يعون ان لكل جزء من هذه الاجزاء الديمقراطيةية علماً بجميع ما كان وما يكون وبجميع ما في العالم من الاجزاء علوياً كان او سفلياً ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريد من المصلحة حتى لا يقع الخلل في شيء من نظم العالم عاماً كان او خاصاً وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان افضت بهم العناية الى هذا القول قلنا أولاً يلزمهم ان كل جزء ديمقراطي يحتوي على ابعاد غير متناهية وهو في صغره لا يدرك ولا بالمكروسكوب ﴿ النظارة المعظمة ﴾ وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم وهو مادي في موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعداً بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرسم في مادة الجزء العالم فيكون في كل جزء وهو مثناه الى غاية الصغر ابعاد غير متناهية للصور الغير المتناهية وهذا مما تبطله بدهة العقل وثانياً ان كانت الاجزاء الديمقراطيةية بالغة من العلم هذا المبلغ وهي من القوة على نحوه اذ لا قوة الا بها على رأيهم فلم تبلغ الكائنات وهي غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الا لام والاصاب ثم تعاني العناء في احتمالها او التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراك هذه الاجزاء على هذا المذهب عن

اكتناه حالها انفسها وعجز عن حفظ حياتها

واعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صاحفوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الخيرة في بعض الامور فلم يستطيعوا تطبيقها على اصل من اصولهم الفاسدة لا أصل الطبع ولا أصل الشعور وذلك عند مارأوا شيئين مختلفان في الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الاجزاء الديمقراطية رجماً بالغيب بانها ذوات أشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف في الاشكال والاوزاع كان الاختلاف في الآثار والخواص وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالوهية الزاعمون ان لا وجود للصانع الاقدس وهم المعروفون بين شيعةهم او عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيشريين وناتور اليسميين وما نثير اليسميين وسنأتي على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية في رسالة أوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولا يظن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً هؤلاء (البياجوات) الهنديين (البياجوا اسم ايطالياني اشتهر في الهند لمن يقلد الماهر في اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه في العربية بالخلايس واصله الشيء لا نظام له والطبيعيون في الهند يمثلون احوال الدهريين في أوربا تمثيلاً مضحكاً) كلا ان هؤلاء لانصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض . نعم لو أريد انشاء تياترو ﴿ ملهى ﴾ او ﴿ كطبتلى ﴾

﴿ نوع من اللعب يشخصون فيه أحوال ملوك الهند الاقدمين ﴾ لتمثل فيه أحوال الأمم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الاعيب وانما غرضنا الاصلى اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتمد الشروع في بيان المفاسد التي جلبها الماديون ﴿ النيشريون ﴾ على نظام المدنية والمضار التي تضعع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشأؤها فشو أفكارهم

﴿ مظاهر الماديين ومقاصدهم ﴾

تخالفت مظاهر الماديين في الامم والاجيال المختلفة فتخالفت اسماؤهم فكانوا تارة يسمون انفسهم بسماوات الحكماء وينتحلون الحكيم لقباً لافرادهم. وأحياناً كانوا يتسبمون بسما دافع الظلم ورفع الجور. وكثيراً ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عراف الاسرار وكشفة الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقد كانوا يظهرون في اوقات بدعوى السعي في تطهير الازهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات. وتارات يتمثلون في صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين. وكثير ما تجرأوا على دعوى النبوة ولو كن لا على سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلاً لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم كيفما ظهر الماديون وفي أي صورة تمثلوا وبين أي قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أمهم وصدعا متفاقما في بنية جيلهم يمتنون القلوب الحية باقوالهم وينفثون السم في الارواح بأرائهم ويزرعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم أمة ولا منى بشرهم جيل الا انتكث قتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الأمة وفقدت قوام وجودها

كان الانسان ظلوماً جهولاً . خلق الانسان هلوغاً اذا مسه الشر
 جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً . جبل الانسان على الحرص وكأنه منهوم
 لشرب الدماء . لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين
 وجوده فتمسك الناس منه بأصول وانطبعوا به على خصال توارثها الابناء
 عن الآباء في قرون بعد قرون ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ما ورثوه
 لا تزال تشرق على عقولهم بانوار من المعرفة يهتدون بها الى سعادتهم
 وقيمون في ضوئها أساس مدنيتهم ولم يبطل أثرها في تعديل اخلاقهم
 وكف أيديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان للاقدمين من
 أهل القرون الاولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء

وطائفة النيشرية كلما ظهرت في أمة سعت في قلع تلك الاصول
 وأفساد تلك الخصال حتي اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الامة
 وانهارت الى هوانة الاضمحلال والعدم وهذه الطائفة هي الان كما كانت
 تسلك منهج أسلافها الاولين وأنا نوضح ذلك بمجمل من البيان

﴿ ما أفاد الدين من العقائد والخصال ﴾

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد وأودع نفوسهم ثلاث
 خصال كل منها ركن لوجود الامم وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية وأساس
 محكم لمدنيتهما وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات
 الكمال والرقى الى ذري السعادة ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس
 عن الشر ويزعها عن مقارفة الفساد ويصددها عن مقاربة ما يبديدها ويبددها
 ﴿ العقيدة الاولى ﴾ التصديق بان الانسان ملك أرضي وهو أشرف

المخلوقات ﴿ والثانية ﴾ يقين كل ذي دين بان أمته أشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل ﴿ والثالثة ﴾ جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة أن تسمى بيت الاحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لا تنقضي سعادتها ولا تنتهي مدتها

لا يفغل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجلية في الاجتماع البشري والمنافع الجمة في المدنية الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم وما لكل واحدة من الدخول في بقاء النوع والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الآخر بالمسألة والموادعة والاخذ بهم الامم للصعود في مراقي الكمال النفسي والعقلي

من البين ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها. فما يلزم الاعتقاد بان الانسان اشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوي الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلي وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها باوفر الحظوظ حتى قد ينتهي به الحال الى ان يكون واحداً من أهل المدنية الفاضلة يحيي مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة وأصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية في الدنيا وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرية في حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لاتستطيع دفع مضرة ولا النقية من عادية ولا تهتدي طريقاً لحفظ حياتها وتقضى آجالها في دهشة الفرع ووحشة الانفراد هذه العقيدة أشد زاجر لآبناء الانسان عن التقاطع المؤدي لاقتراس بعضهم بعضاً كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة وأشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجى حادٍ للفكر في حركاته وأتمجح داعٍ للعقل في استعمال قوته واقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل إن شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنيا والرذائل والى أي حدٍ تصل بهم الشرور وبأي منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل أن ينهض آحادها لمكاثرت الامم في مفاخرها ومساماتها في مجدها ومسابقتها في شرائف الامور وفضائل الصفات وان يتفق جميعها على الرغبة في فوت جميع الامم والتقدم عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ومعاشية كانت او معادية وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية والرضي بالضم لنفسه او لاحد من بني أمته ولا يسره أن يرى شيئاً من العزة او مقاما من الشرف لقوم من الاقوام حتى يطلب لامته

افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه اليق واجدر
بكل ما يعد شرفا انسانيا

فان جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم أو ثلمت مجدهم أو سلبتهم
مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تنشأ له حمية ولم يسكن له
جيشان فهو يمضي حياته في علاج ما ألم بقومه حتى يأسوه أو يموت في أساه
فهذه العقيدة أقوى دافع للأمم الى التسابق لغايات المدنية وأمضى
الاسباب بها الى طلب العلوم والتوسع في الفنون والابداع في الصنائع
وانها لا تبلغ في سوق الأمم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب
قاسر ومستبد قاهر عادل

وان أردت فالبح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من
فتور في حركات آحادهم نحو المعالي وماذا ترى من قصور في هممهم عن
درك الفضائل وماذا ينزل بقواهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر
والمسكنة والى أى هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم
الجهل فظنوا أنهم ادنى من سائر الملل كطائفة * الدهير * و * مانك *
ومن مقنضيات الجزم بأن الانسان ما وردهذا العالم الا ليتزود منه
كما لا يرج به الى عالم أرفع ويرتحل به الى دار أوسع وجناب أمرع
لمرع واديه وتجنى حلبة أن من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها
وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية أن
يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابرار ما أودع
فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما

خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكباً عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضاً عن أبواب الرشوة مترفعاً عن الملق الكلابي والخداع الشعبي ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق وعلى الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي لا يأتي فيه باطلاً ولا يغفل حقاً عاماً أو خاصاً

فهذه العقيدة احكم مرشد واهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم هذا الاعتقاد انجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأئمة اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات. هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب بيرد الهدون والمسائلة فان المسائلة ثمرة العدل والمحبة والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة وهي غراس تلك العقيدة التي تحمد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيه من متاعه الشقاء وتعاسة الجد وترفعه الى غرف المدنية الفاضلة وتجلسه على كرسي السعادة وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلاً من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس وكم يغشى نظرك من مشاهد المرص والشره والغدر والاغتيال وهضم

الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور المعرفة

﴿ الخصال الثلاثة ﴾

وأما الخصال الثلاثة التي توارثتها الامم من تاريخ قد لا يحدُّ قدمًا وإنما طبعها في نفوسهم طابع الدين (فاحداها خصلة الحياء) وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللائمة وينحي عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصاً وفي الحق أن يقال إن تأثير هذه الخلة في حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع أشد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين فإن النفوس اذا مزقت حجاب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر عنها من الاعمال فأبى عقاب يردعها عن المفاسد التي تخل بنظام الاجتماع سوى القتل وقد لاحظ ذلك ﴿ سولون ﴾ حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخلة الحياء يلازمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقول والتزام أحكامها وهو معصم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله وشيئة الحياء هي بعينها شبيهة الآباء وسجية الغيرة وإنما تختلف اسماءها باختلاف جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شيء او حملها على عمل والآباء والغيرة هما مبعث حركات الامم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسهم في الشرف والرفعة وتقوية الشركة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى والثروة وكل امة فقدت الغيرة والآباء حرمت الترقى وإن تسني لها من

اسبابه ماتسني فهي تعطى الدنية ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها
الذلة والمسكنة حتى ينقضي أجلها من الوجود . ملكة الحياء تنتهي اليها
روابط الالفة بين آحاد الامة في معاشراتهم ومخالطاتهم فان حبال الالفة
انما يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحدود ولا يكون ذلك الا بهذه
الملكة الكريمة . هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتنفر به عن الشهوات
البهيمية وتفيض روح الاعتدال على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا
هو الخلق الفرد الذي ينهض بصاحبه لمجاراتة أرباب الفضائل ويتجافى به
عن مضاجع النقائص ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة أو الضعة
والضراعة . هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الامانة وهما
معه في قرن . هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة
لمكارم الاخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها في
نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل ويوقظون النائم ويقعدون
القائم ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا تستحي من تقدم
قرينك عليك وتختلفك عنه فان لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ ولا
نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة فانكشف مما بينا أن هذه الخلة مصدر لجميع
الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترق

ويمكن لنا ان نفرض قوماً هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم
سوء المجاهرة بالفحشاء والمنافسة في المنكر وشوس الطباع وسوء
الاخلاق والاخلاق الى دنيا الامور وسفاسف الشؤون وكفى بمشهدهم
شناعة أن نرى تغلب الشهوات البهيمية عليهم وتملك الصفات الحيوانية

لارادتهم وتساطها على أفعالهم

والخصلة الثانية الامانة * من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما هي الامانة فان فسدت الامانة بين المتعاملين بطلت صلوات المعاملة وانبرت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

ثم من البين أن الأمم في رفاقتها والشعوب في راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأي أنواعها إما جمهورية أو ملكية مشروطة أو ملكية مقيدة والحكومة في أي صورها لا تقوم الا برجال يلون ضرورياً من الاعمال فمنهم حراس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الواج في ثغورها وحفظها في داخل البلاد يأخذون على أيدي السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل الى الاعتقاد من فتك أوساب أو نحوها ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات والحكم في المنازعات ومنهم أهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها في ذلك ثم يستحفظون ما يحصلون في خزائن المملكة وهي خزائن الرعايا في الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال في المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويؤدي أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة

وقضاة العدل وغيرهم حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحكومة
الوالين على أعمالها إنما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الأمانة
فإن خزيت أمانة أولئك الرجال وهم أركان الدولة سقط بناء السلطة وسلب
الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين
وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وفتحت عليهم ابواب
الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح
فإن حزبها أمر سدت عليها نوافذ النجاة ولا ريب أن قوماً يساسون
بمكرومة خائنة إما أن ينقرضوا بالفساد وأما أن يأخذهم جبروت أمة أجنبية
عنهم يسومونهم خسفاً ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية
ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر أن استعلاء قوم على آخرين إنما يكون باتحاد آحاد
العالمين والتسام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن
يكون هذا الاتحاد حتى تكون الأمانة قد ملكت قيادتهم وعمت بالحكم أفرادهم
فقد كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الإنسان ومستقر أساس
الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع أبنية العز والسلطان
وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار في فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلة
الجليلة فلا تجد فيها الآفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقرا معوزا
وذلا معجزا ثم لا تلبث بعده هذا كله أن تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها أمهات اللهم
﴿ الخصلة الثالثة الصدق ﴾ الإنسان كثير الحاجات غير معدود

الضرورات وكل ما يسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء استار الخفاء محبوب
وتحت حجاب الغيب مكنون . قذف بالانسان من غيب يجهله الى ظهور
لا يعرفه فقام في بدا نشأته في زاوية عماء لا يذكر اسما ولا يعهد رسما . هذا
الانسان على ضعفه كأنما أحفظ الاكوان قبل وجوده فارصدت له القتال
وهيأت له النضال فله في كل مثناة منها كامنة بلية وفي كل حنو رابضة
رزية وكل أفاق سهمه في قسيّ الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان
منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق واللمس ولكن
لا غناء بها في هدايته لا قرب حاجاته وارشاده لدفع ما خف من ضروراته
فأحجى ان لا كفاء لها في استطلاع مكامن البلايا واكتشاف مخابيئ
الرزيا لياخذ حذره ويحرز أمره فهو في حاجة كل الحاجة للاستعانة
بمشاعر امثاله من بني جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من
بعض لاسعات المصائب ويصيب من الرزق ما فيه قوام معيشته وسداد
عوزه والاستهداء انما يكون بالاستخبار ولا تتم فائدة الخبر في الهداية الا
أن يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود ويحكي عن مشهود والا
فما الهداية في خبر لا واقع له

نعم الكاذب يرى البعيد قريبا والقريب بعيدا ويظهر النافع في
صورة الضار والضرار في صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية
وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ما تقدم تكون صفة الصدق ركنا ركينا للوجود الانساني
وعمادا للبقاء الشخصي والنوعي . وموصل العلائق الاجتماعية بين آحاد

الشعوب ولا تحقق ألفة مدنية أو منزلية بدونه
 وأنظر فيما اذا فقدت أمة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بها رواجه
 وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التمامها

﴿ تفصيل غايات النشربين ﴾

هؤلاء جحدة الالوهية في أي أمة وبأي لون ظهوروا كانوا يسمعون
 ولا يزالون يسمعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل . قصر السعادة
 الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث خصال . أعاصير أفكارهم
 تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عمراء الشقاء وتهبط
 به من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها أوهاماً باطلة
 ومجموعات وضعية وبنوا على هذا أن لاحق لملة من الملل ان تدعي لنفسها
 شرفاً على سائر الملل اعتماداً على أصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان
 تعتقد انها ليست أولى من غيرها بفضيلة ولا أجدر بمزية ولا يخفى ما يتبع
 هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد
 المعالي كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا
 ما يرتفع به على البهائم بل هو أخس منها خلقة وأدنى فطرة فسهلوا بذلك
 على الناس اتيان القبائح وهوتوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق
 البهيمية ورفعوا عنهم معايب العدوان

ذهبوا الى انه لا حياة للانسان بعده هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات

الارضية تنبت في الربيع مثلاً وتيبس في الصيف ثم تعود تراباً والسعيد من يستوفى في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأي الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري وأعدموها الرغبة في كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة

هذا الوباء المهلك والطاعون المحتاح أعنى النيشيرين ❀ لا يصيب أهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وإبائهم عن وضع أقدامهم في منازل الحيوانية المحضنة وانفتحها من الاشتراك في الاموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها أو يضعفوها فقالوا ان الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس وتم لها كمالها لم يفلتها الحياء في عمل ما كائناً ما كان . فمن الواجب الطبيعي ❀ في زعمهم ❀ ان يسعى الانسان في معالجة هذا الضعف ❀ الحياء ❀ ليفوز بكمال القوة ❀ قلة الحياء ❀ وبهذه الدسيسة يخاطون بين الانسان والهمل ويمزجون به بالهاجيات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشترك في كل شهوة ويهونون عليه آتيان ماتأته في نزواتها

ولا يخفى ان الامانة والصدق منشأوهما في النفس الانسانية امر ان الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر أن من أصول مذاهب هذه

الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم في اذاعة الخيانة وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب . فان منشأ الفضيلتين مادام في النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعي الى الرذيلتين فيضعف أثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط في الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجراً عنهما مرة أخرى أما لو محي الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضد يهما

ويزيد في شناعة ما ذهبوا اليه ان في أصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع والاختصاص بشيء منها يعد اغتصاباً كما سيدكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب **في زعمهم** فلا يعد ارتكاباً للقبیح . لاجرم ان آراء هذه الطائفة مروجة للخianات باعثة على افتراء الا كاذيب حاملة بالانفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنيا والخبائث وإن أمة تفسو فيها هذه الحوالمق لجديرة بالفناء جالية عن باحة البقاء . فقد انكشفت الخفاء بما بينا عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوي الهلكة والدمار

وأقول انها من أشد الاعداء للنوع الانساني كافة فان مهاج في رؤس ابنائها من المايلخوليا يخيل لهم ان الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح في صور مايتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لايقاد النار في بيت هذا

النوع الضعيف ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود . فان من الظاهر عند كل ذي ادراك ان افراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم الى عدة صنائع لو لم تكن أهليكتهم حوادث الجو وأعوزهم القوت الضروري والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها وتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتبهات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوي لا يتفاوتون في حظوظهم . فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل والافضل فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة طلباً للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت الماملات وبطلت المبادلات وأفضى الى تدهور هذا النوع في هوة الهلاك نعم ان أفكار المصايين بالماليخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة ولو فرضنا محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلا ريب ان تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملي ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر ويفقد الانسان كل كمال ظاهر أو باطن صوري أو معنوي ويعطل من حلي الصنائع وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة ويصبح في ظلام جهل وبلاء أزل وينقلب كرسي مجده وينثل عرش شرفه ويصجر في بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان ليقضي فيها أجلاً قصيراً مفعماً بضروب من الشقاء محاطاً بأنواع من المخاوف محشواً باخلاط من الاوجال

والاهوال . فان المبدأ الحقيقي لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص
والرغبة في الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة
والمسابقة فلو سلبتهما افراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالي
الامور وانغمضت العيون عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق
الموجودات وكان الانسان في معيشته على مثال البهائم البرية ان أمكن
له ذلك وهيئات هيئات

﴿ مسالك النشربين في طلب غاياتهم ﴾

سلكوا مخالجات من الطرق لبثاً وهامهم الفاسدة . فكانوا اذا سكنوا
الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال . واذا أزغتهم سطوة العدل
أخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى ما يطلبون
ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على أركان الفصر المسدس ليصدعوها بجملتها
في آن واحد وأخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون
سائرهما فيجعلون ما قصدوا منها مرمي انظارهم ويكدهون لهدمه بما
استطاعوا من حول وقوة . وقد تاجتهم الضرورة الى البعد عن الاركان
السته بأسرها فلا يأتون بما يمسها مباشرة ولكنهم يداً بون لا بطل لوازمها
أو ملزوماتها ليعود ذلك بابطالها . وقد يكتفون بانكار الصانع جل
شأنه وجحد عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علما
منهم بان فساد هاتين العقيدتين ﴿ الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب
والعقاب ﴾ لا محالة يفضي الى مناصدهم ويؤدي الى نتيجة أفكارهم .

وكثيراً ما سكتوا عن ذكر المبادي وسقطوا على ذات المقصد وهو الاباحة
والاشتراك وأخذوا في تحسينه وتزيينه واستمالة النفوس اليه وقد يزيدون
على الدعوة الاقناعية باي وجوهها عملاً جاهلياً تأنف منه الطباع وتأباه
شرائع الانسانية ذلك ان يأخذوا معارضتهم بالغدر والاختيال فكثيراً
ما فكتوا بألاف من الارواح البريئة وأراقوا سيولاً من الدماء الشريفة
بطرف من الحيل وضروب من الختل

﴿ ضرر مذاهب النيشريين حتى يعقول من لا يأخذ بها ﴾

— اذا خالطهم —

متى ظهر النيشريون في أمة نفذت وساوسهم في صدور الاشرار من
تلك الامة واستهوت عقول الخبيثاء الذين لا يهمهم الا تحصيل شهواتهم
ونيل لذاتهم من أي وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لاهوائهم
الخبيثة فيميلون معهم الى ترويج المشرب النيشري واذا عته بين العامة غير
ناظرين الى ما يكون من أثره . ومن الناس من لا يساهمهم في آرائهم ولا
يضرب في طرقهم الا أنه لا يسلم من مضارها ومفاسدها فان الوهن يلم
باركان عقائده والفساد يسري لاخلاقه من حيث لا يشعر حيث ان أغلب
الناس مقلدون في عقائدهم منقادون للعادة في أخلاقهم وأقل التشكيك
وأدنى الشبهة يكفي علة لزعة قواعد التقليد وضعضة قوائم العادة . وان
هؤلاء النيشريين بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبذرون في النفوس
بذور المفاسد فلا يلبث ان تنمو في تراب الغفلة فتكون ضريعاً وزقوماً
ولهذا قد يعم الفساد افراد الامة التي تظهر فيها هذه الطائفة وكل

لا يدري من اي باب دمر الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تخرج وكل منهم وان كان يدعى بلسانه انه مؤمن بيوم الجزاء وفي نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آباءه الا ان عمله عمل من يعتقد أن لا حياة بعد هذه الحياة لسريان عقائد النيشريين الى قلبه وهو في غفلة عن نفسه فلماذا تغلب عليهم الاثرة وهو افراط الشخص في حبه لنفسه الى حد لو عرض في طريق منفعة مضره كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه . ومن لو زم هذه الصفة ان صاحبها يؤثر منفعة الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بائخس الاثمان بل لا يزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتى يسقط به في هاوية الذل ويكتفي من الحياة بمدّها وان كانت مكنته بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنه بالعبودية فاذا وصلت الحال في أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الائتنام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها المحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

﴿ بيان الامم التي خنت للذل وضرعت للضميم بعد العزة والشرف ﴾

بما افسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب ﴿ الكريك ﴾ اي اليونانيون كانوا قوماً قليلي العدد وبما اهتموا او ورثوا من العقائد الثلاث خصوصاً عقيدة ان امتهم اشرف الامم وبما اودعوا من الصفات الثلاث خصوصاً صفة الانفة والاباء وهي عين

الحياء ثبتوا احقابا في مقاومة الامة الفارسية وهي تلك الامة العظيمة التي كانت تمتد من نواحي كشمير الى ضواحي استنبول ذلك فوق ما بلغوه من الدرجات العالية في العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل والانفة من العبودية على الثبات في مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال حذراً من الوقوع فيما لا يليق بارباب الشرف وابناء المجد حتى آل بهم الامر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة ﴿ دولة فارس ﴾ وهدموا اركانها ومدوا ايديهم الى الهند . وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة . كما تراه في قصة ﴿ تيمستوكليس ﴾ وهو قائد يوناني نبذه ابناؤه جلده وطرده وارضدوا له القتل فاضطر للفرار من ايديهم والتجأ الى ﴿ ارتكزيكسيس ﴾ ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان امره ارتكزيكسيس ان يتولى قيادة جيش اجرب اليونان فأبى أن يحارب أمته وان كانت طرده فلما ألح عليه الملك الفارسي ولم يجد محيصا تناول السم ومات أنفة من خيانة بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر ابيقور الدهري واتباعه الدهريون في بلاد اليونان متسيمين بسما الحكماء وانكروا الالهية ﴿ وانكارها اشد المنكر ومنبع كل وبال وشر كما يأتي بيانه ﴾ ثم قالوا ما بال الانسان معجب بنفسه مغرور بشأنه يظن ان الكون العظيم انما خلق لخدمته لوجوده الناقص ويزعم انه اشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكونات . ما بال هذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقاد ان له عوالم نورانية ومعاهد قدسية

وحياء أبدية ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ويتمتع فيها بسعادة
 لا يشوبها شقاء ولذة لا يخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة
 من التكاليف مخالفاً نظام الطبيعة العادل . وسد في وجهه رغبته أبواب
 اللذائذ الطبيعية وحرّم حسه كثيراً من الحظوظ الفطرية مع انه لا يمتاز
 عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا في شأن من الشؤون بل هو أدنى
 وأسفل من جميعها في جبلته وأنقص من كلها في فطرته وما يفتخر به من
 الصنائع فانما أخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات فالنسيج مثلاً نقله عن
 العنكبوت والبناء استن فيه بسنة النحل ورفع القصور وانشاء الصوامع أخذ
 فيه مأخذ النمل الأبيض وادخار الاقوات حذا فيه حذو جنس النمل
 وتعلم الموسيقى من الببلب وعلى ذلك بقية الصنائع . فان كان هذا شأنه من
 النقص فليس من اللائق به ان يقذف بنفسه في ورطات المتاعب
 والمشاق عبثاً ومن الجهل أن يغتر بهذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر
 الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى في عالم آخر
 بل أجدر به أن يلقي ثقل التكاليف عن عاتقه ويقضى حق الطبيعة
 البدنية من حظ اللذة ومتى سئح له عارض رغبة حيوانية وجب عليه
 تناوله من أي وجوهه وعليه أن لا ينقاد الى ما تخيله له أو هلم الحلال
 والحرام واللائق وغير اللائق ﴿ لبئس ماسوات لهم أنفسهم نعوذ بالله ﴾
 فتلك أمور وضعية ﴿ في زعمهم ﴾ تقيد بها الناس جهلاً فلا ينبغي لابن
 الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلاً ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء
 من الأمة فلم تأخذ منها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سداً دون

طلبتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس وأعلنوا أن الحياء ضعف
في النفس على ما تقدم وزعموا أن من الواجب على طالب الكمال أن يكسر
مقاطر العادات (جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين)
ويحمل نفسه على ارتكاب ما يستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه
أن يأتي كل قبيح بدون انفعال نفسي ولا يجد أدنى خجل في المجاهرة
بأية هجينة كانت

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فهتكوا احجاب الحياء
ومزقوا ستاره وأراقوا ماء الوجه الانساني المسكرم فاستحلوا التناول من مال
الناس بغير اذن وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها أم
لم يطلبوا حتي سماهم القوم بالكلاب فاذا راوهم رموهم بالعظام المبروكة ومع
ذلك لم تنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوى الحكمة ولم يردعها رادع
الزجر عن شيء من شرورها وكانت تنبح في الاسواق منادية الممال مشاع
بين الكل وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكليبين
فلما ضربت أفكار النيشريين * الدهريين * في نفوس اليونان
بسعي الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة
وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف أنفسهم بالذل واللؤم وتحولت
أمانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء حقنة وتسفلا واستجالت شجاعتهم
الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت
عليهم الاركان الستة التي كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض أساس
انسانيتهم ثم انتهى أمرهم بوقوعهم أسرى في أيدي الرومانيين * جنس

اللاتين ﴿ و كبلوا في قيود العبودية زمنا طويلا بعد ما كانوا يعدون حكاما
في الارض بلا معارض

﴿ الامة الفارسية ﴾ بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال
احقبا طويلا فكانت لها اصول السعادة وموارد النعيم حتي بلغ اعتقاد
الفارسيين من الشرف لانفسهم الى حد أنهم كانوا يزعمون ان السعداء
من غيرهم انما هم الداخولون في عهدهم المستظلون بحمايتهم أو المجاورون للمالكهم
كان الصدق والامانة اول التعليم الديني عندهم ووصلوا في التخرج
من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم لا يتقدم
للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب في مواعيد وفائه
فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها
كتاب مثل الشاهنامه

قال المؤرخ الفرنسي لونساي فرنسيس لونورمان ان مملكة فارس على
عهد دارا الاكبر كانت إحدى وعشرين ايالة . واحدة منها تحتوي مصر
وسواحل القلزم ﴿ البحر الاحمر ﴾ وبلوجستن والسند . وكانوا اذا لم
الضعف بسطانتهم في زمن من الازمان بعثتهم تلك العقائد القوية
والصفات الكريمة على تلافي أمرهم فخلصوا ممالكهم في قليل زمن ورجعوا
الى مكانتهم الاولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم ﴿ مزدك ﴾ النيشري ﴿ الدهري ﴾ على عهد ﴿ قباد ﴾
وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع اصول
السعادة من أرض الفارسيين ونسفها في الهواء وبددعا في الاجواء فانه

بدأ تعليمه بقوله . جميع القوانين والحدود والآداب التي وضعت بين
الناس قاضية بالجور مقررة للظلم وكلها مبنية على الباطل وان الشريعة
النشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة في حرزها عند
الحيوانات والبهائم . أي عقل وأي فهم يصل الى سر ما شرعته النيشر
﴿ الطبيعة ﴾ وأي ادراك يحيط بمثل ما أحاط به وقد جعلت الطبيعة
حق المأكل والمشرب والبضاع مشاعا بين الآكلين والشاربين والمبضاعين
بدون أدنى تخصيص . فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع
بنته وأمه وأخته ثم تركهن لغيره يتمتع بهن انقيادا لما يخيله له الوهم مما يسميه
شريعة وأدبا . وأي حق يستند اليه من يدعي ملكية خاصة في مال
يتصرف فيه دون سواه مع انه شائع بينه وبين غيره . وأي وجه لمن
يحجر على امرأة دخلت في عقده ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكر
للأثى والأثى للذكر وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بان المال
الشائع اذا تناولته يد المغتصب بما يسمونه بيعا وشراء أو ارثا يكون مختصا
بذلك المغتصب ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لأخذ شيء من حقه
والتمتع به بانه خائن أو غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان ان يفك
اغلالها من عنقه ويطرح كل قيد عقده القوانين والشرائع والآداب التي
لا واطع لها سوى العقل الانساني النافص وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة
ويقضى حق شهوته من اللذائذ التي أباحتهاله بأى الوجوه ومن أية الطرق
ويأخذ في ذلك مأخذ البهائم وعليه ان يقاوم الغاصبين المتحكمين في الحقوق

قسرا ﴿ أي المالكين للأموال والأبضاع ﴾ فيخرجهم عن سوء فعلهم
من النصب والجور ﴿ أي حق التملك ﴾

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الامة الفارسية تهتك الحياء وفشا
الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على
نفوسهم وفسدت أخلاقهم ورذلت طباعهم

نعم ان أنو شروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع
محو هذه الاوهام الفاسدة بعد ما عقلت بالعقول والتبست نفايتها بالافكار
فكان علة في ضعفهم حتي اذا هاجهم العرب لم تكن الا حملة واحدة
فانهزموا مع ان الروم وهم أقران الفارسيين ثبتوا في مجادلة العرب ومقاتلتهم
أزماناً طويلة

﴿ الامة الاسلامية ﴾ جاءت الشريعة المحمدية والديانة السماوية
فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت في نفوسها تلك الصفات
الفاضلة وشمل ذلك آحادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة
بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم
على رؤس الامم من جبال الالب الى جدار الصين في قرن واحد وحثوا
تراب المذلة على رؤس الاكاسرة والقياصرة مع انهم لم يكونوا الا شرذمة
قليلة العدد نزره المدد ولم ينالوا هذه البسطة في الملك والسطوة في
السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة . هذا الى
ما جذبته مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن
واحد من أمم مختلفة مع انهم كانوا يخبرونهم بين الاسلام وشئ زهيد من

الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه هكذا كان حال هذه الامة الشريفة من
العزة ومنعة السلطان

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيشريون (الطبيعيون)
بمصر تحت اسم الباطنية وخرزنة الاسرار الالهية وانبثت دعواتهم في سائر
البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران . علم هؤلاء الدهريون ان نور
الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وأتم التسليم قد أنار قلوب
المسلمين كافة وان علماء الدين الحنفي قائمون على حراسة عقائد المسلمين
وأخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلماذا ذهب أولئك المفسدون
مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على أمور أولاً إثارة الشك
في القلوب حتى يتفكك عقيد الايمان وثانياً الاقبال على الشاك وهو في
حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم أخذوا
منه موافقهم ثم أوصلوه الى مرشدكم الكامل وثالثاً أوغزوا الى دعواتهم
أن يلبسوا الرؤساء الدين الاسلامي لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي
أن يكون بارعاً في التشكيك ماهرآ في التلبيس مقتدرآ على إشراب القلوب
مطالبه . فاذا سقط الساقط من المغرورين في حباله مرشدكم الكامل
فأول ما يلقنه المرشد قوله . ان الاعمال الشرعية الظاهرة كالصلاة والصيام
ونحوهما إنما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق والحق هو
المرشد الكامل فحيث انك وصلت الى الحق فاليك أن تلقي عن عاتقك
ثقل الاعمال البدنية فاذا مضى عليه زمن في عهدهم صرحوا له بأن جميع
الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات إنما ألزمت

فرائضها بالنواقصين المصابين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول
 أما وقد صرت كاملاً فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب والخروج
 من اكنان التكليف الى باحات الاباحة الواسعة . ما الحلال وما الحرام .
 ما الامانة وما الحيانة . ما الصدق وما الكذب . ماهي الفضائل وما هي
 الرذائل . الفاظ وضعت لمعان مخيلة وما لها من حقيقة واقعية ﴿ في زعم المرشد ﴾
 فاذا قرر المرشد أصول الاباحة في نفوس اتباعه التمس لهم سبيلاً
 لانكار الالوهية وتقرير مذهب النيشرية ﴿ الدهريين ﴾ فأتى اليهم من
 باب التنزيه فقال الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجوداً لا شبه
 الموجودات ولو كان معدوماً لا شبه المعدومات فهو لا موجود ولا معدوم
 ﴿ يعني انه يقر بالاسم وينكر المسمى ﴾ مع ان شبهته هذه سفسطة
 بديهية البطلان فان الله منزه عن مشاركة الممكنات في خصائص الامكان
 أما في مطلق الوجود فلا مانع من أن يتفق اطلاق الوصف عليها وعليه
 وان كان وجوده واجباً ووجودها ممكناً

وقد جدت طائفة الباطنية في افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير
 أخذوا بالحيلة ونفاذا بالخدعة حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء
 المسلمين فانتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا
 كثرة معارضتهم شحذوا شفار الغيلة فقتلوا بكثير من الصالحين وأراقوا
 دماء جم غفير من علماء الأمة الاسلامية وأمرء الملة الحنيفية
 وبعض أوائك المفسدين عند ما أمكنته الفرصة ووجد من نفسه
 ربح القوة أظهر مقاصده على منبر ﴿ الموت ﴾ ﴿ قلعة في خراسان ﴾

وجهر بآرائه الخبيثة فقال . اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق
 ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة
 أو الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وأنا القائم
 الحق فليعمل عامل ما أراد فلا حرج بعد اليوم اذ رفعت التكاليف وخلصت
 منها الذمم ﴿ أي أغلقت أبواب الانسانية وفتحت أبواب البهيمية ﴾
 وبالجملة فهؤلاء الدهريون من أهل التأويل أي ﴿ الناتور اليسم ﴾
 من الاجيال السابقة الاسلامية عملوا على تغيير الاوضاع الالهية بفنون
 من الحيل ودعوا كل كمال انساني نقصاً وكل فضيلة رذيلة وخيلوا للناس
 صدق ما يزعمون ثم تطاولوا على جانب الالهية فحلوا عقود الايمان بها
 بالسفسطة التي سموها تنزيها ومحووا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب
 وفي محوه محو سعادة الانسان في حياته وسقوطه في هاوية اليأس والشقاء
 فافسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقاً وغرباً وزعزعوا اركان
 عقائدها وساعدتهم مدد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها
 من السجايا الكاملة التي كان عليها ابناء هذه الملة الشريفة حتى تبذلت
 شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب
 وأمانتهم بالخيانة ووقع المسخ في همهم فبعد ان كان مرماها مصالح الملة
 عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج
 عن الشهوات البهيمية . وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج
 صدعوا اطراف البلاد السورية وسفكوا فيها دماء آلاف من أهاليها
 الابرياء وخرّبوا ما أمكنهم أن يخرّبوا وثبتوا بها نحو مائتي سنة والمسلمون

في عجز عن مدافعهم . مع ان الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروا الفساد على أخلاقهم في قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم في بلادهم خوفاً من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيزخان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيرا من المدن المحمدية واهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع ان مجال خيولهم في بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهي الى أسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذللات والاهانات ولا رزئوا بالتخريب في بلادهم والفتنة في أرواحهم الا بعد ما كلت بصائرهم ونقلت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت اماناتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف امة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوارة بعد ان كانت قناتهم لاتلين لغامر الا ان بقية من تلك الاخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم كامنة في طي ضمائرهم فهي التي انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد في كشف السطوة الغريبة عن بلادهم فأجلوا الامم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من ايديهم وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام والبسوهم تيجان شرفهم ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول فان ما كان من شوكة وقوة انما هو اثر العقائد الحققة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم الى النزعة . ولهذا ذهب المؤرخون الى ان بداية الانحطاط في سلطنة

المسلمين كانت من حرب الصليب والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية ﴿ الدهرية ﴾ في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس اهل الدين الاسلامي وليس يخاف ان فئة ظهرت في الايام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية وأراقت دماء عزيزة وفتكت بأرواح عزيزة تحت اسم لا يبعد عن أسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئاً من نفايات ماترك دهر يو الموت وطبيعيو كردكوه. وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيين فعلينا ان نتنظر ما يكون من آثار بدعها في الامة التي ظهرت بها

﴿ الشعب الفرنساوي ﴾ شعب كان قد تفرد بين الشعوب الاروية باحراز النصيب الاوفر من الاصول الستة فرفع منار العلم وجبر كسر الصناعة في قطعة أوروبا بعد الرومانيين وصار بذلك مشرقاً للنمدن في سائر الممالك الغربية وبما أحرز الفرنساويون من تلك الاصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و (روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبى واحييا مابلى من عظام الناثور اليسم { الدهريين } ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما ان الاديان مخترعات أحدثها نقص العقل الانساني وجهر كلاهما بانكار الالوهية ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء ﴿ برأهم الله مما قالوا ﴾ وكثيرا ما ألف وولتير من الكتب في تخطئة الانبياء والسخرية بهم والقده في

انسابهم وعيب ماجاؤا به فأخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنسيين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها أيديهم وبعد ان أغلقوا أبوابها فتحوها على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة ﴿ في زعمهم ﴾ شريعة الطبيعة وزاد بهم الهوس في بعض أيامهم حتى حمل لقيفاً من عامتهم ان يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى زعيم القوم أيها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا شيئاً من ذلك تهديداً لكم من اله السماء يرسله عليكم ليعظكم به ويزعجكم عن مخالفته كلاً فهذه كلها آثار الطبيعة ﴿ الناتور ﴾ ولا مؤثر في الوجود سوى ﴿ الناتور ﴾ فخلوا عن أعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لانفسكم إلهاً من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فهأهي (مدموازيل) أى العذراء قائمة في المحراب على مثال الذمية فاسجدوا لها ان شئتم

والاضاليل التي بها هذان الدهريان ﴿ وولتير وروسو ﴾ هي التي أضرمت نار الثورة الفرنسية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك أهواء الامة وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت المذاهب وأوغلوا في سبل الخلاف زمناً يتبعه زمن حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يري وراءها غاية وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سمي كل قبيل في التماس ما يواتى لذته ويوافق شهوته واعرضوا عن منافعهم العامة وأعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقاً وغرباً

نعم ان نابليون الاول بذل جهده في اعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استعدرا كآ لشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الاضاليل فاستمر الاختلاف بالفرنساويين الى الحد الذي هم عليه اليوم . هذا الذي جرّ فرنساويين للسقوط في عار الهزيمة بين يدي الالمانيين وجلب اليهم من الخسار ما تعسر عليهم تعويضه في سنين طويلة . هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكموناتى الاشتراكيين ونما هذا المذهب بين فرنساويين ولم تكن مضار الآخذين به ومفاسدهم في البلاد فرنساوية اقل من مضار الالمانيين ﴿راجع تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا﴾ ولولم يتدارك الامر ارباب العقائد النافعة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على اديم فرنسا ومحوا مجد الامة تنفيذاً لاهوائهم وجلبوا لرغائبهم

﴿الامة العثمانية﴾ انما رقت حالتها في الازمنة المتأخرة بما دب في نفوس بعض عظمائها وأمرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا اثم الخيانة في الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين ﴿الدهريين﴾ وبذلك كانوا يعدون انفسهم من ارباب الافكار الجديدة ﴿أبناء العصر الجديد﴾

زعموا بما كسبوا من أوهام الدهريين ان الانسان حيوان كالحيوانات لا يختلف عنها في أحكامها وهذه الاخلاق والسجايا التي عدوها فضائل تخالف بجمعها سنن الطبيعة المطلقة ﴿الناتور﴾ وانما وضعها تحكم العقل وزادها تطرف الفكر . فعلى من بصر بالحقيقية (على زعم أولئك المارقين) أن يستنج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان

من ملاذنه وقوفاً عند خرافات القيود الواهنة والموضوعات الانسانية الواهية . وحيث ان الفناء حتم على الاحياء فما هو الشرف والحياء وماهي الامانة والصدق وأى شيء هو العفة والاستقامة . ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالذنية واستنابوا الى الحسة ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب وجابوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل

السوسياليست ﴿ الاجتماعيون ﴾ النهيلىست ﴿ العدميون ﴾

الكمونيست ﴿ الاشتراكيون ﴾

هذه الطوائف الثلاثة تتفق في سلوك هذه الطريقة ﴿ الدهرية ﴾ وزينوا ظواهرهم بدعوى انهم سند الضعفاء والطالبون بحقوق المساكين والفقراء وكل طائفة منها وان لوئت وجه مقصدها بما يؤم مخالفتها لمقصد الاخرى الا ان غاية ما يطالبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة واباحة الكل للكل وإشراك الكل في الكل . وكم سفكوا من دماء وكم هدموا من بناء وكم خربوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم انهبوا من فساد كل ذلك سعياً في الوصول الى هذه المطالب الخبيثة . وجميعهم على اتفاق في ان جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها والاحياء في التمتع بها سواء واختصاص فرد من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد بدعة في شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها . ومن مزاعمهم ان الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين أبناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة ﴿ الاباحة والاشتراك ﴾ وليس من

مانع أشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعي ان ينقضوا هذين
الاساسين ويبيدوا الملوك ورؤساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاك واهل السعة في الرزق فان دانوا لشرع الطبيعة
نخرجوا عن الاختصاص فتلك والّا أخذ باعناقهم قتلاً وبأكظامهم خنقاً
حتى يعتبر بهم من يكون من أمثالهم فلا يلوون رؤسهم كبراً على الشريعة
المقدسة ﴿ شريعة الطبيعة ﴾ ولا تزور أعناقهم عصياناً لاحكامها

نظر أبناء هذه الطوائف الثلاثة في وجوه الوسائل لبث أفكارهم
والافضاء بما في أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح في زرع
بزور الفساد في النفوس من وسيلة التعليم إما بإنشاء المدارس تحت ستار
نشر المعارف أو بالدخول في سلك المعلمين في مدارس غيرهم ليقرروا
أصولهم في اذهان الاطفال وهم في طور السذاجة فتنتشس بها مداركهم
بالتدريج . فمن أوامك الدهريين من همه بناء المدارس ودعوة الناس اليها
ومنهم متفرقون في بلاد أوربا يطالبون وظائف التعليم وينالون من ذلك
طلبتهم وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت أحزابهم
ونمت شيعتهم في أقطار الممالك الأوروبية خصوصاً مملكة الروسية . لا جرم
ان هذه الطوائف اذا استفحل أمرها وقوى ساعدها على المجاهرة بأعمالها
فقد تكون سبباً في انقراض النوع البشري كما تقدم ذكره أعاذنا الله من
شور أقوالهم وأعمالهم

﴿ مورمون ﴾

هذا النبي الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور (الطبيعة)

نشأ في انكاثرا ثم هاجر منها الى اميركا واعلن مالتقى اليه بالهام الطبيعة من
ان النعمة العظمي ﴿يريد الاباحة والاشتراك﴾ انما يوتاها من كان مؤمنا
بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عدد
من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احدهما من المؤمنين والاخرى من
المؤمنات وقال لكل مؤمن حق التمتع بكل مؤمنة حتي كانت اذا سئلت احدي
المؤمنات. زوجة من أنت. تجيب انها زوجة جماعة المؤمنين واذا سئل أحد
أبنائهن. ابن من أنت. يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الآن لم يصعد لهيب
فسادهم من هوة الويل (هوة جمعيتهم)

﴿دهريو الشرقيين﴾

اما منكرو الالوهية أعني النيشريين الذين ظهروا في لباس المهديين
واوّنوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية وزعموا انفسهم طلاب خير الامة
فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا في اعين الاغبياء حملة
لاعلام العلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطاً جديداً وتولاهم الغرور بما حفظوا
من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من اوهام المبطلين وقتلوا
سباهم كبرا وعلواً ولقبوا انفسهم بالهادين والادلاء وهم في اطباق جهل
وارتاق غباوة وفي أهب من دنس الرذائل ومسوك من قدر الذمائم فاواثك
قوم قوى فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تيين وجوه
القدر وتعرف طرق الاختلاس . واتى لفي خجل من ذكرهم يدافني
الحياء عن رواية سيرهم وحكاية اعمالهم فان مقاصدهم من الدناءة بحيث
لا تخرج عن جوبهم . يسمون في اقتلاع اساس امتهم لشهوة بطونهم .

يحددون سفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بني جنسهم لا يبتغون بذلك
 عوضاً سوى حشو معدوم وما أضيق مجال أفكارهم . الى الآن لم يخط أحدهم
 خطوة خارج كرشه ولم يمد واحد منهم رجليه لأبعد من فرشته وليس في وسع
 القلم ان يتحرك في هذا المجال الضيق غير انه يمكن ان يقال انهم ﴿بياجوا﴾
 لغيرهم من أهل الضلالة ﴿أى سيئو التقليد لهم﴾ وما بقى من أوصافهم لا يخفى
 على فهم القارئين

﴿مضار انكار الالهية﴾

تبين مما أسلفناه ان طائفة النيشريين ﴿الدهريين﴾ كلما نجمت في
 أمة أفسدت اخلاقها وواقعت الخلل في عقولها وتخطفت قلوب آحادها
 بأنواع من الحيل وألوان من التليس حتي تصبح تلك الامة وقد وهى
 اساسها وتفطر بناؤها واغثاتها رذائل الاخلاق من الاثرة وعبادة الشهوات
 والجرأة على ارتكاب الحيانات ولا يزال الفساد يتغلغل في احشائها حتي
 تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود أو تضرب عليها الذلة ويخذل أبناءها
 في الفقر والعبودية

الا ان قبلا من هذه الطائفة عملوا على اخفاء مقصدهم الاصيل وهو
 الاباحة والاشتراك واكتفوا في ظاهر الامر بانكار الالهية وجحود يوم
 الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول ان في ذلك بسطة
 الفكر وسعة الحرية لهذا أحببت ان أبين ان هذه النزعة وحدها كافية في افساد
 الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية وليس من ضروب الباطل ما هو
 أشد منها تأثيراً في محو الفضائل واثارة الجباث والرذائل وليس من

الممكن ان يجتمع لشخص واحد وهم الدهري وفضيلة الامانة والصدق
وشرف الهمة وكمال الرجولية

ذلك ان كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته وبناء
بنيته شهوات تميل به الى مشتريات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشترياته
ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل ما يمكنه من تلك
المشتريات كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل اليه من المطلوب ولم تجدد الطبيعة
طريقاً معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسيل حق . وسبيل
باطل . وسبيل الفتنة والفساد . وسبيل الهدى والرشاد . وسبيل سفك الدماء
واغتصاب الحقوق . وسبيل الاجمال والتعفف . وكلها ميسر للطالب غير
ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف هوائها عند حدود معينة
ومنعها من تجاوز حد الاعتدال في آثارها واعمالها وارضاء كل ذي شهوة
بحقه وكفه عن الاعتداء والاحجاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون باحد
امور اربعة

﴿ الامور التي يمكن بها الزام النفس حدود العدل ﴾

اما ان يحمل كل ذي حق آلة حربه فيخترط سيفه ويمتقل رمحه
ويرقع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم احدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعاً
عن حقه . واما شرف النفس كما يزعمه ارباب الاهواء . واما الحكومة . واما
الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم نافذ الحكم وانه يوفى كل
عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة

شراً يره ثواباً جزيلًا أو عقاباً وبيلا في حياة بعد هذه الحياة

﴿الاول المدافعة الشخصية﴾

اما الاول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسيل به الاودية مهجاً
وتخضل به الربى دماً وتتفاني به النفوس طلباً للحقوق أو دفاعاً عنها وتكون
الداثرة للاقوياء على الضعفاء حتى اذا قوى الضعفاء يوماً ما ناروا على الاقوياء
فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسحق بعضهم بعضاً الى
ان يعم جميعهم الفناء وينقرض النوع الانساني من وجه البسيطة

﴿الثاني شرف النفس﴾

اما الثاني فنقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس فهي صفة تنكب
بصاحبها عن اتيان ما يذم عند قبيلته وغشيان ما يقبح في انظار عشيرته ويقابلها
خسة النفس وهي صفة لا يتأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تنفعل نفسه من
التقبيح. فتلك الصفة أعني شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هي في
حدود معروفة عند جميع الامم حتى يمكنهم بالمحافظة عليها ان يقفوا بالشهوات
عند حد الاعتدال. ألا ترى ان كثيراً من الامور يعدا ارتكابها عند بعض الامم
خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء
على انه في الحقيقة شر الشرور وأعظم الفجور تبين ذلك من حال سكان
البادية وأهل الجبال من القبائل المتبدية. فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح
وانتهاب الاموال واسترقاق الاحرار من فعال المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ
الى نهاية الشرف وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن وأهل الحضارة من
لواحق الدناءة وعلامت خسة النفس وكذلك الحيلة والمكر يحسبهما قوم خسة

وخبثا ويحسبها آخرون حكمة وعقلا

وإذا أعمت النظر في المسألة وجدت ان لكل كائن في عالم الامكان
 علة غائية والعلة الغائية لاعمال الانسان انما هي نفسه فهو لا يطلب شرف
 النفس ولا يسعى للتجمل به الا لطمعه في توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته
 وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم ان شرف النفس يرد الى
 صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره في بهاء الصدق والامانة
 فيعظم الركون اليه وتكثر أعوانه وفي ذلك توفر أسباب المعيشة واتساع
 طرقها بخلاف من تلتاث نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ
 الطباع لا ينسبط اليه النظر ولا يحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم
 الاخوان ومن كان هذا حاله سدت عليه أبواب الرزق واكتنفته غائلات
 الفاقة فيكون ميل الانسان الى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف
 وتمكنه من نفسه وعدم تمكنه ومراتب أثره في كبح الشهوات وردها
 عند تخوم العدالة انما هو على حسب أحوال الطبقات في معاشهم بمعنى
 ان كل طبقة من الناس تطالب من تلك الصفة ما ينفعها في معيشتها ويحفظها
 من طارقة السوء بل لا ترى كل طبقة ان شيئاً يعد من الشرف الا تلك
 الصفة التي تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة. وما زاد على ذلك فلا
 يعد فقدانه نقصاً ولا الخلو عنه انحطاطاً فلا تسمى لاستحصاله وان عد
 قوم آخرون من جوهر الشرف ومن مقومات الكمال وان لنا عبرة في
 أغلب السلاطين والامراء فانهم مع أخذهم بمذاهب الشرف لا يبالون
 بنقض اليهود وخفر الذمم خصوصاً مع من دونهم في السلطان ومن

لا يضارعهم في القوة ولا يأنفون الظلم ولا ينكرون العذر ولا يتجافون مذمة من تلك المذام ولا يعدون شيئاً منها خسة ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة مع ان واحداً من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعدّ من دنياات الفعال ورمي فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث ان سائر الطبقات لا ينظرون الى ما يصدر عن أمراءهم وروسائهم نظرهم الى ما يصدر عن آحادهم فهم يذهبون مذهب التأويل في اعمال الروساء والكبراء . وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة أى ان كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشناعات ومنزلتها ممن دونها تحمل الاذنين على الاقرار لها بما تزعم فلو كان قوام النظام في العالم الانساني بشرف النفس لانطلقت أيدي العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت أبواب الشر والفساد في وجهه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند ما يظنه شرفاً لا يخالفه الى سواه لا خفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على التجمل بهذا الوصف انما هو الرغبة في تحسين المعيشة والفرار من مضانكها فقلما يستوى ظاهر الانسان وباطنه في هذه الصفة فهو في معلقات اموره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لا يمنعه ذلك من غشيان الخيانة الخفية وغمس يديه في قدر العدوان من وراء حجاب التستر وبسط كفه لتناول الرشوة في زوايا المحاكم لان طالب خفض العيش يعرف ان هذه الخبائث

الخفية تصل به الى مقصده من السعة على أمن من الاشتهار بصفة الدناءة
وذلك معروف من احوال المذاعين الظاهرين في ثياب الشرف والعفة والله
اعلم ماذا يسترون تحت ذيوهم وما يضمرون دون جيوبهم وما يخزنون من
الاموال في زوايا بيوتهم

فاذن لا يليق بذى عقل ان يجعل شرف النفس ميزانا للعدل . ولا
مكان للظن بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف
النفوس عن غصب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ماظهر
منه وماباطن

فان قال قائل ان حب المحمودة مما أشربته قلوب البشر وهو باعث
على الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد فكل ذى
فطرة انسانية يسمي لكسب المحمودة لا بد له ان يطلب الغاية من خلة
الشرف النفسى وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنيا
والخسائس ويبتعد بها عن مخاليج الحيف والمدوان . فنقول فى جوابه أولا
اذا تعارض موجب المدح والثناء ومقتضى الشهوات البدنية فقليل من
الناس من يختار الاول على الثانى والجمهور الاغاب مغلوب للشهوة مأسور
للذة والنظر فى طبقات الناس وأحوالهم على اختلافهم ثبت لنا ذلك . وثانيا
ان صاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس أشباه إنسان وأسناخ
حيوان . أولئك المعروفون بالمؤرخين والشعراء الكاذبين ولا باعث لهؤلاء
على نثر المحامد ونظم القصائد الانضارة الثروة فى الممدوحين ورونق الجاه
والجلالة فى المحمودين من غير نظر الى مناشئ الجاه ولا موارد الثروة .

فمناط الحمد احدى البسطتين وان حفت بالمظالم وأحيت باللوائم ولهذا تبتعت
نفوس كثير من الناس للوصول الى هذه المظاهر فيطلبون الغني والثروة
والجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجوه الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا
بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمهم من المدائح على السنة
أولئك المدلسين وليس بكثير في الناس طلاب المحمدة الحققة اللاقطون
لدور المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتادون للحمد بين
حدود الحق وأولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ما هم . فلم تبق ريبة
في قصور هذه الخلة أعني شرف النفس عن الكفاية في تعديل الاخلاق
وتحديد الشهوات وحجب العدوان وحفظ النظام الانساني اللهم الا أن
تكون مستندة الى عقيدة في دين وتكون حقيقتها محدودة في ذلك
الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقداً لروابط
الالفة وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة
كما مرت الاشارة اليه في صفة الحياء

﴿ الثالث الحكومة ﴾

واما الثالث (الحكومة) فليس يخاف ان قوة الحكومة انما تأتي على
كف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين اما الاختلاس والزور المموه والباطل
المزين والفساد الملوّن بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات
فمن أين للحكومة ان تستطيع دفعه وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل
وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع
ضرره على ان الحاكم وأعوانه قد يكونون بل أكثر ما كانوا ويكونون ممن

تملكهم الشهوات فاي وازع يأخذ على أيدي أصحاب السلطة ويمنعهم من
مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم وأى غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوى
المكينة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم . لا جرم قد يكون الحاكم فى
خفى أمره رئيس السارقين وفى جلى حاله قائد الناهيين وأعوانه آلات يستعملها
فى الجور وأدوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد
الله ويهتكون من اعراضهم ويغنمون من أموالهم برؤون ظلم شهواتهم بدماء
الضعفاء وينقشون قصورهم بمرج الفقراء وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك
العباد ودمار البلاد

﴿الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية﴾

فاذن لم يبق للشهوة قانع ولا للأهواء رادع الا الامر الرابع أعنى
الايمان بان للعالم صانماً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامى
القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدر للخير والشر جزاء
يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة . وفى الحق ان هاتين العقيدتين
وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره
وخفيه وحاسمان صارمان يحوزان اثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس
وهما أفضل وسيلة لا حقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الا من
ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لا تقرر هيئة للاجتماع الانسانى
ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفوا
صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل

وسدت عليها طرق الفضائل ومن أين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن
 خيانة أو يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر ان العلة الغائية
 لاعمال الانسان انما هي نفسه كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعتاب
 وحساب وعتاب في يوم بعد يومه فما الذي يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصاً
 اذا تمكن من اخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته في الدنيا أو رأي منفعتيه
 الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأى حامل
 يحمله على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك
 من الاخلاق التي لا غني للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد في أحد الجاحدين
 شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد أو كان أتر
 ناقصاً لفقد ما يمدده من سائر صفات الكمال)

وقد تبين أن أول تعاليم النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ ابطال هذين
 الاعتقادين ﴿ الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية ﴾ وهما أساس كل
 دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك . فهؤلاء القوم هم الساعون في نسف
 بناء الانسانية وتذريته في ذيول السافيات يطلبون ضعفة أركان المدنية
 وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك مارفعه العلم وشادته المعرفة
 فيهلكون الأمم باطفاء حرارة الغيرة واخماد ربح الحمية . هؤلاء جراثيم اللؤم
 والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة واءلام الكذب
 والافتراء ودعاة الحيوانية المعجاء محبتهم كيد وصحبتهم صيد وتوددهم مكر
 ومواصلتهم غدر وصدقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حباله ودعوتهم للعلوم
 شرك ومكبدة . يخونون الامانة ولا يحفظون السر ويديمون الصق الناس بهم

بأذنى مشترياتهم . عبيد البطون وأسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية
إذا أعقبتها عطية ولا ينجلون من الفضيحة إذا تبعتهارضيخة لا علم عندهم بالوقار
ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ولا وصل اليهم
عن الهمة عبارة معبر أو تفسير مفسر الابن فيهم لا يأمن أباه والبننت لا أمان
لها من كليهما . نعم أي حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين

قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعي وتروقه رقطة
جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم
فيصغى لزخرف قو لهم ويظن ان هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان
على الاصلاح أو من الراغبين في بث المعارف أو المتقين عن الحقائق أو
يتخيل ان منهم من يكون غوثاً عند الضيق أو عوناً في الشدة أو مخزناً للاسرار
عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكي عليه ويضحك
منه فالضحك عجباً من غروره والبكاء حزناً على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الاديان ووهي
اساسه فهو أفضل من طريقة الدهريين وأمس بالمدينة ونظام الجمعية
الانسانية وأجل أثراً في عقد روابط المعاملات بل في كل شان يفيد
المجتمع الانساني وفي كل ترقى بشري الى أية درجة من درجات السعادة
في هذه الحياة الاولى

ولما كان نظام الاكوان قد بنى على أساس الحكمة ونظام العالم الانساني
جزء من النظام الكوني ألهم الله نفوس البشر ان تفرع الى مقاومة أو ائتك
المفسدين ﴿ الدهريين ﴾ في أى زمان ظهر وا ومدافعة ما يعرض من شرهم

﴿ كما لهمهم الفرع من الحيوانات المفترسة والنفرة من الاغذية السامة ﴾
 وانهم حفظ النظام المدني الحقيقي وهو الدين لبذل الجهد وافراغ الوسع
 في محو آثارهم واستئصال ما يفرسون في تعاليمهم لا جرم ان مزاج الانسان
 الكبير ﴿ يعني عموم النوع ﴾ بما أودع الله فيه من الشعور الفطري وهو أثر
 الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم في باطنه
 فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة أو الذنابة من المنخر أو النخامة من
 الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الارض من زمان بعيد وايدهم
 بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لا غراض سافلة الا انهم لم يثبتوا
 ولم يتم لهم أمر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع
 والنظام الحقيقي لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قاراً راسخاً في جميع الاجيال
 وعلى أى الاحوال

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين
 على قواعد الامر الالهى الحق ولم يخالطه شئ من أباطيل من يزعمونه ولا
 يعرفونه فلاريب أنه يكون سيباً في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب
 بمعتقديه في جواد الكمال الصوري والمعنوى ويصعد بهم الى ذروة الفضل
 الظاهرى والباطنى ويرفع اعلام المدنية لطالباها بل يفيض على المتمدينين
 من ديم الكمال العقلى والنفسى ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدى من
 يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر مادعت اليه الحاجة من المقابلة بين
 مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام وأثر كل من الامرين في بنية
 الاجتماع الانسانى والله أعلم


 دين الاسلام


اذا نظرنا فيما بين ادينا من الأديان وجدنا دين الاسلام قد
 أقيم على أساس من الحكمة متين وورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين .
 ذلك أن عروج الامم على معارج الحق الأعلى وتدرج الشعوب في مدارج
 العلم الأجلبي وصعود الأجيال على مراقى الفضائل واشراف طوائف
 الانسان على دقائق الحقائق ونيلمهم للسعادة الحقيقية في الدارين كل ذلك
 مشروط بامور لا يتم الا بها

﴿ الامور التي تتم بها سعادة الامم ﴾

الاول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الاوهام فان عقيدة
 وهمية لو تهندس بها العقل لقامت حجبا كثيفا يحول بينه وبين حقيقة الواقع
 ويمنعه من كشف نفس الامر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة
 الفكرية وتدعوه بعد ذلك ان يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل
 وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون
 الحقائق سنارا لا يخرق وفوق ذلك ما تجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة
 وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفرع مما لا يفرع . ترى الواهم
 المسكين يقضى حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور
 وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح وينزعج لقصف الرعد والتماع
 عليه البرق ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا اثر له في الاخافة وهذا يسجل

عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة ثم يكون ألعوبة في أيدي المحتالين
 وصيداً في حبال الماكرين والدجالين
 وأول ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد
 وتطهيرها من لوث الاوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصرف
 الاكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن
 في انسان او جماد علوياً كان او سفلياً بان له في الكون أثراً بنفع او ضرر او اعطاء
 او منع او اعزاز او اذلال ومن المفروض خلع كل عقيدة بان الله جل شأنه
 ظهر او يظهر بلباس البشر او حيوان آخر لصلاح او فساد او ان تلك الذات
 المقدسة نالت في بعض اطوارها شديد الآلام واليم الاسقام لمصلحة احد
 من الخلق فضلاً عما يحف بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية في اعماء
 العقول وطمس نورها

واغلب الاديان الموجودة لا يخلو من هذه الاوهام ان شئت فاضرب
 بنظرك الى ديانة برهما ﴿ في الهند ﴾ ودين بوذ ﴿ في الصين ﴾ ودين زرادشت
﴿ في بقايا الفارسيين ﴾ وكثير من اديان آخر

الثاني

الامر الثاني ان تكون نفوس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة
 الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه انه لائق باية مرتبة من
 مراتب الكمال الانساني ما عدا رتبة النبوة فانها بمنزل عن المطمع وانما
 يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم احد من الامة الى انه
 ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات فاذا أخذت

نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعنى الاقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة الى محاسن الاعمال فبلغ كل واحد ما أتى عليه سعيه من عاليات الامور وشرائف المراتب ولو ان قوماً أساؤا الظن بأنفسهم واعتقدوا ان نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وان لا سبيل لهم الى الوقوف في مصاف غيرهم من طبقات الناس فلا ريب يسقط من همهم على مقدار ما ظنوا في أنفسهم وبذلك يتولى النقص أعمالهم ويملك الخمود عقولهم فيحرمون معظم الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جواتهم في دائرة ضنكة محيطها دون ما ظنوا بأنفسهم

ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق في أى فضيلة وأنبأ كل ذى نطق بوفرة استعداده لأى منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد لا نجد من الاديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة . فليدرك دين ﴿برهما﴾ قسم الناس الى أربعة أقسام أحدها ﴿برهمن﴾ وثانيها ﴿جهتري﴾ وثالثها ﴿ويش﴾ ورابعها ﴿شودر﴾ وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لا يجاوزها فاعلى منازل الكمال للبرهمن ويليه منزلة الجهتري والصنف الرابع أخسها وأدناها في جميع المزايا الانسانية وكان هذا التقسيم سبباً في انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور خطابهم عن الرقي في مدارج المدنية وانحسار أفكارهم دون الوصول الى ما يطلبه استعدادهم

من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع أنهم اقدم الامم وأسبقها نظراً في
الكون وشؤونهم. ومن الاديان ما يغاب اليوم على أمم من البشر وفي أصوله
تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كشعب اسرائيل مثلاً وكتابه المعروف
يخاطب أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال ويذكر غيرهم بالتحقير
والاهانة. نعم جاء رؤساء ذلك الدين وانسلوا من هذا الحكم وأغفل فيما بينهم
حتى كأنه لم يكن من دينهم الا ان ما سلبوه من الكرامة عن غيرهم اتحلوه
لانفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين أهل الدين وخلفه امتياز الصنفية
فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين في قلوب الآخذين بدينهم حتى صار من
عقائدهم ان صنفاً من الناس على منزلة القرب الى الله بحيث لا يرد الله له
طلبة ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر الاصناف لا يقبل الله من أحد صرفاً
ولا عدلاً ولا يعتدله بايمان ولا يغفر له ذنباً بتوبة حتى يتوسطه أهل طبقة
الرئاسة فعندهم ان كل نفس وان بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها
لمرض ذنوبها على أبواب العفو الآلهي ولا أن ترفع اليه طلب المغفرة
لخطيئاتها بل لا بد في قبول ذلك منها ان يكون بواسطة الرئيس الديني ومن
آمن بالله وصدق به وأخذ بحكامه لا ينظر الله لايمانه حتى ينظر اليه الرئيس
الديني ويعتده إيماناً واستندوا في هذه العقائد على نصوص من كتابهم تفيد
ان ما يحلونه في الأرض يكون محلولاً في السماء وما يعقدونه في الأرض
يعقد في السماء وقد جلبت هذه العقيدة على أهل هذا الدين شقاء طويلاً
والقت بهم في جهالة عمياء وذلة خرساء زمناً مديداً حتى ظهر فيهم مجددون
نقضوا ذلك العقيد وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا في

ذلك الدين الاسلامي وسموا مذهبهم مذهب الاصلاح ونشروه في ممالك
متعددة فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشفت عنهم جهالات وحلت من
أعناقهم ربق ونهضوا من حضيض ذلة الى ذروة رفعة فنطقوا بعد ما
صمتوا وعلموا بعد ما جهلوا وحكموا بعد ما حكموا وسادوا بعد ما سيدوا .

﴿ الثالث ﴾

الامر الثالث أن تكون عقائد الامة وهي أول رقم ينقش في ألواح
نفوسها مبنية على البراهين القويمة والادلة الصحيحة وأن تتحامي عقولهم
مطالعة الظنون في عقائدها وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فان
معتقدا لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقنا
فلا يكون مؤمنا هذا والآخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة
الظنون والقانع بان آباءه كانوا على مثل عقيدته فاولى به أن يكون عليها
يلتقي مع سابقه في مضارب الوهم وفجاج الظن وأوائك المتبعون للظن
القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عند ما تعودت ادراكه فلا يذهبون
مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر واذا استمر بهم ذلك تغشتم
الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء
وظائفهما العقلية بالمرّة فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر فيحيط بهم
الشقاء ويتمثر بهم البخت وبئس المآل ما لهم

فان كان لا بد من الاستئناس لما نقول بقول أوربي فهذا ﴿ كيزو ﴾
الفرنساوي صاحب تاريخ ﴿ سيفليزاسيون ﴾ أي التمدن الاوربي قال
ان من أشد الاسباب أثرا في سوق أوروبا الى تمدنها ظهور طائفة في تلك

البلاد قالت ان لنا حقاً في البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها ولو كان ديننا هو الدين المسيحي وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها ما ادعت من الحق محتجين عليها بأن بناء الدين على التقليد فلما أخذت تلك الطائفة قوتها وانتشرت أفكارها نصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة والبلادة ثم تحركت في مداراتها الفكرية وترددت في المجالات العلمية وكدحت لاستحصال أسباب المدنية

ان الدين الاسلامي يكاد يكون متفرداً من بين الاديان بتقرير المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيث الخاطبين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم الى العقل تنطق نصوصه بان السعادة من نتائج العقل والبصيرة وان الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة ويرفع أركان الحجة لا اصول من العقائد كل منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعي اتبعه ببيان الغاية منه في الاغلب (راجع القرآن الشريف)

وقلما يوجد من الاديان ما يساويه أو يقاربه في هذه المزية وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة . ومن الاديان الظاهرة ما بنى أعظم أركانه على أصل الكثرة في الواحد أو الوحدة في الكثير وان الواحد يكون أكثر والكثير يكون واحداً مما تنبذه بداهة العقل فلما انكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على انه فوق نظر العقل فلا ينال الفكر دركه لا بالكفه ولا بالوجه ولا يهتدي لدليل عليه ولا مرشداً اليه يريدون

أنه لا بد من تنكب طريق العقل ونبد احكامه حتى يمكن الايمان بهذا الاصل مع ان العقل مشرق الايمان فن تحول عنه فقد دابر الايمان وان فرقا بين مالا يصل العقل الى كنهه ولكنه يعرفه بأثره وبين ما يحكم العقل باستحالته فالاول معروف عند العقل يقرب وجوده ويقف دون سرادقات عزته أما الثاني فمطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقده من عقوده فكيف يصدق به وهو قاطع بعمده أما أصول دين برهما فمن البين لكل ناظر فيها أن أغلبها مخالف لصريح العقل وذلك من جليات المسائل سواء اعترف أهل هذا الدين بثبوته أو كابروا بانكاره

﴿ الامر الرابع ﴾

الرابع أن يكون في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة لا ينون في تنوير عقولهم بالمعارف الحقة وتحليتها بالعلوم الضافية ولا يألون جهداً في تبين طرق السعادة لهم والسلوك بهم في جوادها ثم طائفة أخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف أودها وتكشف عن الاوصاف الفاضلة وحدودها وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها وتفضح مستور الرذائل وتشق الحجاب عن مضارها وسوء منقلب المتدلسين بها وتشتد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تلهيها عنهما غفلة ولا تردها عنهما صعوبة وذلك أن بداهة العقل حكمة بأن جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة فان لم يكن في الناس معلم قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة الاولى والاستعداد لما يكون في الاخرى وساوى الانسان في معيشته سائر الحيوانات

وحرمة سعادة الدارين وفارق هذه الدنيا على اتعس الاحوال فاذا من
الواجب الديني اقامة معلم . والشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف
عنده ولا لرغائب النفس غاية تنقطع عندها فان فقد من بين الناس مقوم
النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع الى الحيف والاجحاف
ومن طغت بهم شهوتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا استراحتهم ثم هم لا ينفلتون
من غائلة اعمالهم بل يحترقون بنيران شهواتهم فيرافقون الدنيا على عناء
ويفارقونها الى شقاء فاذا لا بد من الامر بالمعروف الناهي عن المنكر
القائم بتقويم الاخلاق . وان من اهم الأركان الدينية في الديانة الاسلامية
هاتين الفريضتين ﴿ نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم واقامة المؤدب الامر
بالمعروف الناهي عن المنكر ﴾ راجع القرآن الشريف ﴿ ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وغير هذه
الآية آيات كثيرة ﴿ فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وسواها آيات ﴾ وقد برز
دين الاسلام على غالب الاديان في العناية بهذين الامرين

وحيث كانت اركان الدين الاسلامي بالغة حد الكثرة فلو أخذت
في بيان ما يفيد كل ركن منها في تقويم المدنية وتشديد بناء النظام الانساني
واقامة الدليل على ان كل أصل من أصول هذا الدين عنصر حياة السعادة
الانسانية لخرجت عن القصد من هذه الرسالة

ولهذا أخذت على نفسي ان أضع رسالة تختص بذلك الغرض أبين
فيها ان المدنية الفاضلة التي مات الحكماء على حسرة من فقدوها لا تختط في

العالم الانساني الا بالدين الاسلامي

فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على ما نرى من الحال السيئة والشأن المحزن فجوابه ان المسلمين كانوا كما كانوا وبلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الآن من القول بهذا النص الشريف ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴾ وهذا آخر ما أردت بيانه في هذه الرسالة ينتهي به ما أجملته في كشف سوات النشريين ﴿ الدهريين ﴾ ومضار طريقتهم في المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية وتوضيح الادلة على منفعة الاديان ولزومها لقيام النظام البشري خصوصاً دين الاسلام والى الله المنتهى ورضاه المبتغي والصلاة والسلام على خاتم رسله وآله وصحبه وسلم

﴿ فائمة الطبع ﴾

بحمد من طبع القلوب على محبته وفطر العقول على الاعتقاد بربوبيته قد انتهى طبع رسالة الرد على الدهريين للمرحوم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني وهي كما يراها المنصف الرسالة الوحيدة في موضوعها الفريدة في بابها قد براها ذلك الفكر الثاقب والخطاطر الجوال في ميدان الحقائق دفاعاً عن المظاهر القدسية واقناعاً لمن أراد أن يقنع بهذه الحجج الدامغة واذ كان من الثابت أن أفعال الانسان هي مظاهره الحقيقية ومشخصاته الذاتية فما لا جدال فيه أن هذا الاثر المفيد ينطق بلسان مجيد معبراً عن مكانة المؤلف في الفضيلة ورفعة منزلته في الكمال . ولولا أن هذه الرسالة

صغيرة الحجم مع اشتهار مؤلفها بانه الكبير في العلم العظيم في المعارف اقلنا
 إنه رحمه الله كان يدأب طول حياته سعيًا وراء معتقدات الأمم ووقوفًا
 على تاريخ الديانات حتى أمكنه أن يجمع هذه البراهين والادلة على ضرورة الدين
 ولزوم التمسك به والعهد بمعارفه أوسع وأجمع من هذا التأليف النادر المثال
 ولكن الرسالة (كما يراه المطلع على ترجمة المؤلف) جواب على سؤال
 ورد اليه من مولوي محمد واصل وربما كان قبل ذلك لا يفكر في الكتابة
 في هذا الموضوع الجليل الى أن ورد عليه ذلك السؤال عن حقيقة مذهب
 الدهريين حتى لا يستقل هذا التأليف في جانبه ولا يقال انه غاية مكنته
 فالرجل رحمه الله قضى حياته في نضال عن الحق ومدافعة عن الفضيلة ولم
 يترك له الوقت سعة للتأليف سوى ما كان أخذه على نفسه وعقد عليه
 النية من أنه سيضع رسالة في أن المدنية الفاضلة التي مات الحكماء على
 حسرة من فقدانها لا تختط في العالم الانساني الا بالدين الاسلامي وقد حال
 بينه وبين نجاز الوعد حوائل يضيق المقام عن سردها . ولنا في حضرة
 صاحب الفضيلة الاستاذ الكامل معرب هذه الرسالة ما يحقق تلك
 الامنية التي كان يتمناها ذاك الفيلسوف وقدمات رحمه الله على حسرة من
 عدم نجازها وساوى الحكماء قبله في الموت على حسرة من فقدان المدنية
 الفاضلة في هذا العالم

فاللهم وفق الجميع الي الاصاله في الرأي والعمل والسداد في القول
 واعصمنا من الخطأ والزلل انك سميع الدعاء

عبد العليم صالح

المحامي